بسم الله الرحمن الرحيم

المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

# ثقافة التقريب

مجلة ثقافية شهرية تصدرعن المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

العدد ٦٧ ـ محرم ١٤٣٤هجرية قمرية

آذر١٣٩١هجرية شمسية /ديسمبر (كانون الأول) ٢٠١٢

- الآراء الواردة لا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر المجمع العالمي للتقريب
- تسلسل الموضوعات خاضع لاعتبارات فنية

**المراسلات:**

**العنوان البريدي للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية:**

الجمهورية الإسلامية في إيران –طهران –ص. ب: ٦٩٩٥– ١٥٨٧٥

العنوان الالكتروني:info@taghrib.ir

**الطباعة:** حسين المندلاوي / على حروف (**قلم برتو**) خاص بالنشر المحترف

النسخة رقم (٢) من www.MaryamSoft.com

**ثقافة التقريب**

**ملحق**

**رسالة التقريب**

مجلة تثقيفية عامة تهتمّ بعرض الأفكار التي ترتبط بوحدة الأمة مباشرة أو بصورة غير مباشرة، مع التأكيد على ضرورة وضع المسلمين أمام مسؤولياتهم الكبرى في استعادة العزّة والكرامة واستئناف البناء الحضاري

**الإشراف العام**

**محسن الأراكي**

**الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية**

**هيئة التحرير**

مجموعة من الكتّاب الرساليين المهتمين بمستقبل الأمة الإسلامية وبوحدة الدائرة الحضارية للعالم الإسلامي

**إعداد المجلة :**

مركز الدراسات الثقافية الإيرانية العربية

www.IranArab.com

**منهجنا في نشر المقالات**

١ـ أن يكون المقال ما قلّ في الصفحات ودلّ على فكرة مفيدة في حقل التقريب وصحوة الأمة ووحدتها.

٢ـ للمجلة الحقّ في التلخيص وتعديل العبارات، دون أي مساس في المحتوى، كي يكون المقال منسجمًا مع الإطار العام للمجلة.

٣ـ يحقّ للكاتب أن يطلب عدم ذكر اسمه، وهيئة التحرير سوف تنشر مقالاتها دون ذكر كاتبيها تجنبًا لتكرار الأسماء.

٤ ـ ننشر أيضًا مختارات وعصارات مما كُتب في تراث التقريب.

٥ ـ المقالات والتعليقات التي تعارض هدف المجلّة سوف ننشرها أيضًا إذا كانت ملتزمة بأدب الاختلاف، مع الاحتفاظ بحقّنا في التعليق.

# المحتوى

**العدد ٦٧**


من توجيهات الإمام الخامنئي ..... ٤
العالم الإسلامي أمام منعطف خطير..... ٧
من آرشيف موقف القيادة الإسلامية تجاه غزة ..... ١١
الحسين في عينية الجواهري ..... ١٤
مكانة الشهيد والشهادة ..... ١٩
رسالة إلى يزيد ..... ٢٨
الحسين بن علي برؤية حضارية ..... ٣١
حاجتنا إلى الحسين ..... ٣٩
نحو فهم حضاري لتاريخنا الإسلامي ..... ٤٢
قتل الحسين يزيدا ..... ٥٤
دورزينب في المسيرة الحضارية ..... ٥٥
دررالسمط في خبرالسبط ..... ٧٠
فتى كربلاء العباس بن علي ..... ٨٠
ذكرى الحسين فرص وتحديات ..... ٨٦
أنسنة التاريخ ..... ٩٥
يا جبال المجد عزّاً ..... ١٠٠
النماذج التربوية في نهضة عاشوراء ..... ١٠٤
سمفونية الجنوب ..... ١١٢

## من توجهات الامام الخامنئي
## الوحدة ضرورة حياتية

في آخر لقاء للسيد الإمام الخامنئي بقوات (التعبئة) تناول سماحته موضوعات هامة ترتبط بالمقاومة وبغزّة وبقوات التعبئة وبوحدة الأمة الإسلامية.

بشأن غزّة قال: إن الجرائم الوحشية للنظام الصهيوني في هجومه على شعب غزّة يؤكد همجية محيّرة يتصف بها زعماء هذا النظام، كما يكشف مرّة أخرى مدى ما وصلت إليه أمريكا وبريطانيا وفرنسا من وقاحة كريهة في دفاعهم عن المذابح التي ترتكب بحقّ شعب غزّة.

وبشأن البلدان العربية والإسلامية قال: إن البلدان الإسلامية وخاصة العربية تتحمل مسؤولية تعديل مواقفها في هذه المسألة وأن تبادرإلى مساعدة شعب غزّة المظلوم وأيضًا الشجاع والفخور، وأن تسعى إلى كسرالحصارالمفروض على هذا القطاع،وأن تفهم الأمة الإسلامية، مقتدية بالمقاومة المنتصرة لشعب غزّة، بأن التحلي بالثبات والاستقامة، هو الطريق الوحيد للنجاة والانتصارعلى أعداء الإسلام.

وخصص سماحة الإمام جلّ حديثه في هذا اللقاء لأحداث غزّة الأخيرة مؤكداً: أن وحشية الصهاينة في الهجوم على المدنيين في غزّة يجب أن تحرّك ضمير العالم الإسلامي وأن تبعث حياة جديدة في جسد الشعوب الإسلامية...

إنّ شعب غزّة بفضل الله أثبت مرة أخرى أنه قادر على أن ينتصر بايمانه وثباته وهمته على المزوّدين بترسانات الأسلحة المتطورة والمدعومين بقوى الاستكبار العالمي.

وأشار العبد الصالح الإمام الخامنئي إلى استعجال الكيان الصهيوني لتحقيق وقف لإطلاق النار وقال: إن هؤلاء الذين أبدوا كل قسوة وفظاظة في بدء عدوانهم قد تلقوا المزيد من الضربات الموجعة حتى أنهم راحوا يسارعون إلى استجداء وقف إطلاق النار أمام جمع صغير من المجاهدين في قطاع غزّة... إن حوادث غزّة أثبتت مرة أخرى أن الدفاع المقتدر هو السبيل الوحيد للغلبة على المؤامرات والخبث والنذالة..

العالم الإسلامي، من أجل أن يحصّن نفسه مقابل الأعداء، عليه أن يصعّد قدرته الإيمانية وعزمه و إراداته، وأن يطوّر نشاطاته التقنية والعلمية ليكون قادراً على صنع ما يحتاجه من وسائل الحفاظ على حياته من سلاح وغير سلاح..

إن هذا درس تعلّمه شعبنا من سنوات الدفاع المقدس، ومن هنا فإن شعبنا بشبابه وعلمائه يحثّ الخطى من أجل التطوير وتصعيد الاقتدار.

وقال سماحته: إن من دروس الحوادث الأخيرة ضرورة اتحاد الأمة الإسلامية، وضرورة التلاحم الوطني الداخلي لبلدان المسلمين.

وأشار سماحة الإمام إلى اقتران أسبوع التعبئة بأيام ملحمة عاشوراء وقال: لو لم تكن حادثة كربلاء ما بقي من الإسلام إلا اسمه، من هنا فإن حادثة عاشوراء بالنسبة إلينا هي درس وهي راية هداية أمام المجتمع الإسلامي.

وبشأن التعبئة قال سماحته: إن تشكيل قوات التعبئة من مظاهر ما كان يتحلّى به الإمام الخميني (رض) من عمق فكري وحكمة إلهية.

وشدّد الإمام الخامنئي على ضرورة صيانة روح الإيمان والتوكل والمعنوية والروحانية والتضحية لدى قوات التعبئة وحذّر من أن تصيبهم آفات الغرور والتظاهر والرياء والسطحية.

الجريمة المروّعة التي ارتكبها الكيان الصهيوني في غزة والمجزرة التي تعرّض لها المئات من الرجال والنساء والأطفال المظلومون كشفت مرة أخرى عن الوجه السفاح للصهاينة الذئاب من وراء أقنعة زيف الأعوام الأخيرة، وأنذرت الغافلين والمتسامحين بأخطار وجود هذا الكافر المحارب في قلب أراضي الأمة الإسلامية

**من بيان الامام الخامنئي في الحرب الأولى على غزة**

## العالم الإسلامي

## أمام منعطف خطير

محسن الأراكي *

كثيرة هي الفرص التي مرّت على العالم الإسلامي بعد سقوطه بيد قوى الاحتلال الغربي، وكثير منها ضاعت بسبب عدم ارتفاع وعي الأمة إلى مستوى فهم الواقع واستثماره.

الفرص كانت تتوفّر غالبًا حين تمرّ حوادث تبعث هزّة في النفوس، توقظها من سباتها، وتعيد إليها الثقة بنفسها، وتحيي روح العزّة في وجودها.. في مثل هذه الحالات ترى الشعوب الحقائق جليّة دونما إفراط أو تفريط.. تفهم ما عندها من قوّة وعزم و إرادة وعظمة.. وترى عدوّها أيضًا على حقيقته دونما تهويل إعلامي، ودون أن ترعبها زمجرة، أو يخيفها تهديد.

هذه الفرص توفّرت في العقود الأخيرة بعد انتصار الإيرانيين في حركة تأميم النفط قبل أكثر من ستة عقود، وانتصار العراقيين في ثورة العشرين، وانتصار حركات التحرير في عدد من البلدان،

---

* -الأمين العام للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

وانتصار مصر أمام العدوان الثلاثي، وانتصار الثورة الإسلامية في إيران، وانتصار حزب الله في جنوب لبنان وانتصارات المقاومة الإسلامية في فلسطين، وانتصار شعوب بلدان الصحوة الإسلامية في تونس وليبيا ومصر و...

هذه الانتصارات واجهت خطط ماكرة مدروسة لإحباطها، ومحاولات الإحباط تمثلت في:

- إثارة الاختلافات الطائفية والقومية والعشائرية لاستنزاف طاقات المنتصرين والحيلولة دون الوصول إلى أهدافهم.
- دعم العناصر المشبوهة المرتبطة بعالم المستعمرين وتسليطهم على مراكز القرار.
- شنّ حروب حدودية لإضعاف قدرات البلدان المنتصرة و إشغالها عن تحقيق التنمية المطلوبة.
- فرض حصار اقتصادي ومقاطعة والتوسل بالمنظمات الدولية لتحقيق هذا الغرض على مستوى عالمي.
- إثارة موجة من التضليل الإعلامي لتشويه هذه الانتصارات أمام الرأي العام الإسلامي والعالمي.
- رفع شعارات مزوّرة لا تنطلق من وجدان الأمة وهويتها من أجل إعطاء صورة تافهة عن الأهداف الكبرى للثائرين. و... و...

واليوم نحن نعيش انتصارات بعضها تحقق من قبلُ ولا يزال يشعّ بطاقته الخلاقة ليجدّد العزّة والكرامة في النفوس، وبعضها نبتهج

بمشاهدته اليوم ونرى انتصاراته المتلاحقة.

وأمام كل هذا المشهد الذي يبشّر بغدٍ أفضل تتصاعد الخطط الماكرة لمصادرة المكتسبات.

ونقف عند واحدة من هذه الخطط التي تحاك اليوم في سوريا.

واضح أن المطالبة بالإصلاح حقّ مشروع وضرورة لازمة لكل شعب من الشعوب، بما في ذلك الشعب السوري. لكنّ هذه المطالبة بالإصلاح حوّلوها إلى حرب إرهابية استخدمت فيها سلاح الطائفية والعنصرية والتحجّر الديني وغذّتها دعوات القتل والذبح والإبادة من فضائيات ذات ارتباطات معروفة، وزوّدتها بانواع الأسلحة الثقيلة دول معروفة في عراقة انتمائها إلى عالم الاستكبار العالمي.

والملفت للنظر في هذه الحرب الظالمة على سوريا أنها وجهت شعاراتها لا إلى الحكومة السورية فحسب بل إلى الجمهورية الإسلامية وحزب الله. مما يعني أن طوق المقاومة بأجمعه استُهدف في هذه الخطّة.

إن الذي يجري في سوريا اليوم هو تآمر خطير بامتياز على المقاومة وعلى جبهة الصمود أمام العدوّ الصهيوني.

لكنّ الله سبحانه شاء أن يأتي العدوان الأخير على غزّة ليثبت لكل أعداء هذه الأمة أن روح المقاومة لا يمكن أن تزول، وأن جبهة المقاومة ستقف إلى جانب فلسطين وآمال الشعب الفلسطيني بأموالها وصواريخها ودعمها السياسي، ليرتفع صوت المقاومة على كل

صوت يريد جرّ فصائل المقاومة إلى مواقف طائفية أو عنصرية أو استسلامية.

هناك محاولات متواصلة لتصوير الحالة في سوريا على أساس طائفي، وهذا خطاب خطير لو انطلى على الأمة لتبددت جهود التقريب ومساعي وحدة الأمة، ولعاد الإحباط في النفوس تجاه جبهة المقاومة، لكن ذلك لن يحدث بإذن الله، لإيماننا بأن وعي الأمة قد يعلو عليه الزبد، لكن الزبد يذهب حتمًا جفاء ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ﴾ ..وهذه سنة الله في الكون، ووعده الصادق للمؤمنين، والله لا يخلف الميعاد.

والآن، سؤالي للعلماء و رجال الدين في العالم العربي ورؤساء الأزهر في مصر هو: ألم يئن الأوان كي يشعروا بالخطر على الإسلام و المسلمين؟!! ألم يئن الأوان للعمل بواجب النهي عن المنكر و قول كلمة حق عند إمام جائر؟! هل هناك حاجة لدواعٍ أُخَر أوضح مما يجري في غزة و فلسطين للتدليل على تعاضد الكفار الحربيين مع منافقي الأمة لقمع المسلمين كي تشعروا أنتم بالواجب؟!!

**من بيان الامام الخامنئي في الحرب الأولى على غزة**

## من آرشيف موقف القيادة الإسلامية
## تجاه غزّة خلال حرب الأيام الاثنين والعشرين

**بسم الله الرحمن الرحيم**

﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾

الجريمة المروّعة التي ارتكبها الكيان الصهيوني في غزة والمجزرة التي تعرّض لها المئات من الرجال والنساء والأطفال المظلومون كشفت مرة أخرى عن الوجه السفاح للصهاينة الذئاب من وراء أقنعة زيف الأعوام الأخيرة، وأنذرت الغافلين والمتسامحين بأخطار وجود هذا الكافرالمحارب في قلب أراضي الأمة الإسلامية. مصيبة هذا الحدث الفظيع جليلة وفادحة جداً لكل مسلم بل لكل إنسان صاحب ضميروشرف في أي مكان من العالم، بيد أن المصيبة الأكبرهي الصمت المشجّع لبعض الحكومات العربية التي تدعي الإسلام. أية مصيبة أعظم من أن تتخذ الحكومات المسلمة التي يجب أن تدعم أهالي غزة المظلومين إزاء الكيان الغاصب الكافر المحارب، أن تتخذ سلوكاً يجعل الساسة الصهاينة المجرمين يصفونها بكل وقاحة بأنها متناغمة مع هذه الجرائم المروعة وموافقة عليها؟!!

أي جواب سيكون لهذه البلدان أمام رسول الله صلى الله عليه وآله؟!! وأي جواب سيقدمونه لشعوبهم المفجوعة بهذه المأساة؟!! لا شك أن قلوب الشعوب في مصر، والأردن، وباقي البلدان الإسلامية

اليوم دامية جرّاء هذه المجزرة التي جاءت عقب ذلك الحصار الطويل في الأطعمة والأدوية.

حكومة بوش المجرمة بتأييدها لهذه الجريمة الفادحة في الأيام الأخيرة من عمرها المخزي، سوّدت وجه النظام الأمريكي أكثر من السابق، وضخّمت ملفّ جرائمها باعتبارها مجرمة حرب. والحكومات الأوربية أثبتت مرة أخرى عدم اكتراثها وربما مواكبتها لهذه الفاجعة العظمى، أثبتت كذب ادعاءاتها في مناصرة حقوق الإنسان، وبرهنت على مشاركتها في جبهة معاداة الإسلام والمسلمين.

والآن، سؤالي للعلماء ورجال الدين في العالم العربي ورؤساء الأزهر في مصر[1] هو: ألم يئن الأوان كي يشعروا بالخطر على الإسلام والمسلمين؟!! ألم يئن الأوان للعمل بواجب النهي عن المنكر وقول كلمة حق عند إمام جائر؟! هل هناك حاجة لدواعٍ أُخَر أوضح مما يجري في غزة وفلسطين للتدليل على تعاضد الكفار الحربيين مع منافقي الأمة لقمع المسلمين كي تشعروا أنتم بالواجب؟!!

سؤالي لوسائل الإعلام والمثقفين في العالم الإسلامي وخصوصاً العالم العربي هو: إلى متى تظلون غير مكترثين حيال مسؤولياتكم الإعلامية والثقافية. هل هناك فضيحة لمنظمات حقوق الإنسان

---

١- كان هذا قبل الثورة المصرية، واليوم قد تغيّر الأمر بشكل ملحوظ والحمد لله.

الغربية وما يسمى بمجلس الأمن في منظمة الأمم المتحدة أكثر من هذا؟

جميع المجاهدين الفلسطينين و كافة المؤمنين في العالم الإسلامي مكلّفون بالدفاع عن النساء و الأطفال و الأهالي العزّل في غزة بكل السبل الممكنة، و كل من يُقتل في هذا الدفاع المشروع المقدس فهو شهيد و يرجى أن يحشر أمام رسول الله صلى الله عليه و آله في صفوف شهداء بدر و أحد.

على منظمة المؤتمر الإسلامي أن تعمل بواجبها التاريخي في هذه الظروف الحساسة و تشكل جبهة موحّدة حيال الكيان الصهيوني بعيداً عن التحفظات و الانفعال. ينبغي معاقبة الكيان الصهيوني على يد الدول المسلمة. و رؤساء ذلك الكيان الغاصب يجب أن يحاكموا و يعاقبوا لارتكابهم هذه الجريمة و فرضهم ذلك الحصار الطويل.

بمقدور الشعوب المسلمة تحقيق هذه المطالبات بعزيمتها الراسخة، و واجب الساسة و العلماء و المثقفين في هذه البرهة من الزمن أكبر بكثير من الآخرين.

إنني أعلن يوم الإثنين عزاءً عاماً بمناسبة فاجعة غزة، و أدعو مسؤولي البلاد لأداء واجباتهم إزاء هذا الحدث المحزن.

﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾.

سيد علي الخامنئي

٢٩ ذي الحجة الحرام ١٤٢٩

## الحسين في عينيّة

## الجواهري

يتجّه محمد مهدي الجواهري في عينيته المعروفة إلى مرقد الحسين الذي أصبح على مرّ التاريخ رمزًا للإباء والشموخ والكرامة، ويرى أنه منح الأحرار دائمًا الطاقة التي تدفعهم إلى مقارعة الظلم والمطالبة بالعدل، وكان هذا المرقد أيضًا مثار غضب الطغاة وسخطهم، يهدمونه تارة، ويمنعون زيارته تارة ويهدّدون بتدميره تارة أخرى:

فداءٌ لمثواكَ من مضجَع  تنوَّرَ بالأبلَج الأروَع

هذا المثوى يملأ الأجواء بأعبق الأطياب، فهي أعبق من رائحة الجنان، وأكثر انتشارًا من رائحة المسك، لأنها تحيي الإنسان وترفعه وتزكّيه:

بأعبقَ من نَفحاتِ الجنا  نِ رَوحًا، ومن مسكها أضوع

يدعو ليوم الحسين، يوم الطفوف (يوم كربلاء)، ولأرض الحسين (أرض كربلاء)، بأن تبقى على مرّ الأيام حيّة، تقدّم عطاءها على مرّ الزمن:

ورَعيًا ليومِكَ يوم "الطُفوف"  وسقيًا لأرضِكَ من مَصْرَع

ثم يذكر أن يوم الحسين يستثير الحزن، ولكن الشاعر يدعو أن يكون هذا الحزن بتوطين النفس ودفعها على نهج الحسين الوضّاء المهيع (الواضح)، لا أن يكون هذا الحزن مجرّد عاطفة عابرة تستثير

البكاء، وينتهي أثرها مع انتهاء هياج هذه العاطفة:

وحُزنًا عليك بحبسِ النُفوسِ  على نهجــكَ النَّيّرِالمهْيَـع

ويدعوإلى صيانة هذا المجد من أن يزول ويُذال (يهان)، فالحسين هوالمبدع والموجد لهذا المجد الذي يأبى الهوان:

وصَونًا لمجـدِكَ مِـنْ أنْ يُذالَ  بمـــا أنتَ تاباهُ مِـن مُبْـدِع

يخاطب الحسين بأنه الوِتر(الفريد الوحيد) ليس له نظير، ولم يُشفع (لم يكن له ثانيًا) بين الخالدين:

فيا أيُّها الوِتْرُفي الخـالـديــ  نَ فــذًّا، إلى الآنَ لم يُشفَـع

وأنت بين الطامحين العظام للمجد وللكرامة والعزّة موعظة لأولئك اللاهين عن غدهم، لا يعلمون ماذا يُراد بهم، قانعين بحياتهم الذليلة المهينة.

ويا عِظَةَ الطامحينَ العِظام  للاهينَ عـن غَـدِهمْ قُنَّع

عظمت أيها الحسين من إنسان يخيفُ الحتوف (الموت) إذ إنك لم ترهب الموت، بل أنت أرهبته لأنك تلاحقه وهو يفرّمنك... وبارك الله في قبرك من ملاذٍ وملجأ، يفزع إليه المتزلزلون في معنوياتهم ليجدوا فيه العزم والإباء والصمود:

تعاليتَ مــن مُفْـزِع للحتُوفِ  وبُـــورك قبرُكَ من مَفْــزَع

الدهور(العصور) تلوذ به ساجدة على جانبيه وراكعة، أي خاضعة متواضعة أمام عظمته وشموخه:

تلوذُ الدُّهورُفــمِنْ سُجَّــد  علــى جانبيه ومِنْ رُكَّـــع

ثراك (ترابك) أيها الحسين يشعّ بالكرامة، لقد شممته فهبّ نسيم الكرامة من أرض بلقع (جرداء خالية من الزرع) يشيربذلك

إلى واقعنا المزري الذي ابتعد عن مدرسة الحسين:

شَممتُ ثــراكَ فهبَّ النسيمُ نسيـمُ الكرامـةِ مـــن بَلقـع

وتبلغ العاطفة بالشاعرذروتها في هذا البيت الذي يستشعرفيه بأنه عفّرخدّه في تراب الحسين، وهو غاية الخضوع والخشوع أمام عظمة أبي الشهداء، وضع خدّه على التراب الذي تفرّى (تقطّع) فيه خدّ الحسين لكنه أبى أن يضرع (أن يستسلم) للذلّ والهوان. ويستعمل الشاعر كلمة "استراح"، فخدّ الحسين استراحَ على تراب الشهادة لأنه لقي ربّه راضيًا مرضيًّا، و"تفرّى" تشيرإلى ما مارسه الجيش المحارب بجسد الحسين بعد مقتله من تمزيق وتقطيع!!

وعفَّرتُ خدّي بحيثُاسترا حَ خدٌّ تفـــرَّى ولـم يَضـرَع

يوضّح بعدها أنه عفّرخدّه في المكان الذي سارت على خدّ الحسين حوافرخيل الطغاة، لكنه لم يخشع (لم يخضع) للطغاة.

وحيثُ سنابكُ خيـلِ الطُغا ةِ جـالتْ عليـهِ ولـمَ يخشع

يتّجه الشاعرفي الأبيات التالية إلى رسم صورة رمزيّة رائعة لعطاء الحسين بعد أن طارت الذكريات بروحه إلى عالم سام رفيع، وبعد أن طاف بقبره، بروحه لا بجسمه ، كما يطوف الخيال في صومعة الملهمين والمبدعين، أي طاف ليستلهم من عظمة الحسين و إبداع الحسين الدروس:

وخلْتُ وقد طارتِ الذكرياتُ بروحـــي إلـــى عـــالمٍ أرفَـــعِ

وطُفْـتُ بقبرِكَ طـوفَ الخَيالِ بصـــومعـةِ الملْهِـمِ المبْـدع

في هذا العالم الرفيع السامي خالَ الشاعرأن يدًا تمتدّ من وراء ضريح الحسين لتبين معالم الطريق وتوضّح المدرسة الحسينية، غير

أن هذه اليد "مبتورة الإصبع" في إشارة إلى ما فعله أحد القتلة القساة من قطع إصبع الحسين بعد أن استعصى عليه سلب خاتمه!!:

كأنَّ يدًا من وراءِ الضريـــ ـح حمراء"مبتورة الإصبـــع

هذه اليد الممتدّة من ضريح الحسين لها هدف كبير، وهو مخاطبة العالَم المترع (المليء) بالضيم (الظلم) والشَّرَق (الآلام والمآسي): هذا العالم الذي تخبّط (سارعلى غيرهدًى) في غابة مليئة بالذئاب والسباع:

تَمُـــدُّ إلـــى عـــالمٍ بـــالخُنو عِ والضيمِ ذي شَـرَقٍ مُتْـــرعِ

تَخبَّطَ فـي غابـــةٍ أطبَقَـــت على مُذئبٍ منـــه أو مُسبِـــع

تريد هذه اليد أن تبدّل الضمائرالمجدبة (الخالية من العاطفة الإنسانية) إلى عالم معشوشب (مليء بالزرع والكلأ) ومُمرع (مليء بالخيروالبركة والنماء).:

لتُبدلَ منـه جديبَ الضميـــر بآخَـرَمُعْشَـــوشبٍ مُمْـرع

كما تريد هذه اليد أن تدفع النفوس المنهارة الصغيرة الخائفة إلى ساحة الأمن والثقة بالنفس، والصمود على المبدأ:

وتدفعَ هـذي النفوسَ الصِغـا رَخوفًـــا إلى حَـــرَم أمنَع

عظمت أيها الحسين من صاعق (ثائر) يلتظي (يلتهب) ويضيء الطريق في الدياجي(الظلمات):

تعاليتَ مِـن صاعـقٍ يلتظـــى فإنْ تَـــدْجُ داجيـــةٌ يَلمـع

يا أبا الشهداء تعاليت من إنسان يتحرك في رحاب واسعة سامية هي كحركة الأفلاك التي تدورحول أوسع المحاور، في إشارة إلى سعة الأفق الذي تحرّك من أجله الحسين:

تعاليتَ مـن "فلَكٍ" قُطْـــرهُ يـــدورُعلـــى المحوَرالأوسـع

ويكفي الحسين فخرًا أنه تربّى في حجورٍ طابت وطهرت، فهو ابن الزهراء البتول، وكفى بذلك ضمانًا على ما أدّعيه من عظمة فيك ومن شموخ وكبرياء، فأنت ابن من لم تلد مثلُها كمثلك، ولم تحمل به ولم ترضع، فكلاكما فريدان في العلوّ والسموّ:

فيـابنَ "البتولِ" وحَسْـبي بهـا ضَمانًا على كـلْ ما أدَّعـيِ
ويابنَ التـى لـم يَضَـعْ مِثلها كمثلِـكَ حَمـلاً ولم تُرْضِع

وأنـت ابـن علـيّ المعـروف بـالأنزع (الخـالي الشـعرفـي جبهتيـه) والبطـين (العظـيم البطن)، لكنـه بطـين بـدون بطنـة لأنـه اكتفـى بـالقرص مطعومًـا وبـالملح مأدومًـا، وأنـه الفتـى الـذي يـدخل الحـرب حاسرًا دونما درع ووقاء:

ويـابن البطينِ بـلا بطنـةٍ ويابن الفتى الحاسرالأنـزَع

أنـت غصـن مـن دوحـة هاشـم بـل أزهـرهـذه الغصـون وأفرعهـا (أكثرها جمالاً ونماءً):

وياغُصْـنَ "هاشِـمَ" لم ينفتِحْ بـأزهرَمنـكَ ولـم يُفْـرع

أنـت تمثـل المدرسـة الكاملـة للخالـدين، وأنـت مضـمون كـل أنشودة الخلود من مطلعها إلى ختامها:

ويا واصلاً من نشيد "الخُلود" ختـامَ القصيـدةِ بالمطلـع

النـاس يسيرون فـي ركـب الزمـان، أي إن الأيـام هـي التـي ترسـم حياتهم فمن سائرعلى طريق مستقيم ومن أظلع (متعرّج في السير)، لكنّك تسيّرحركة التاريخ وقوافل الخالدين، وكل ما تبعث في هذه الحركة من روح جديدة، فإنما هو تابع لحركتك ونهضتك:

يَسـيرُالـورى بركـاب الزمـا نِ مِـن مسـتقيمٍ ومـن أظلـعِ
وأنتَ تُسّيـــرُركْبَ الخلـــو دِ ومـا تستَجـــدّ لـه يَتْبَـــع

## مكانة الشهيد والشهادة

مرتضى مطهري *

**• كلمة الشهيد مقرونة دائما بالقداسة والعظمة •الشهيد يبلغ أسمى درجة في التكامل الإنساني• الشهيد يوفّرالأجواء لكل بقية العاملين في سبيل سعادة البشرية • للشهادة وجهان: وجه بشع في انتسابها للقاتل ووجه مقدس في انتسابها للمقتول • ليس من الصحيح أن نحصرالحسين(ع) في إطارالضحية بيد الطواغيت • الوجه الآخر لشهادة الحسين هوالمقاومة الذكية الواعية على طريق الهدف المقدس.**

### قدسية الشهيد

ثمة كلمة لها في عرف البشرية عامة، وفي عرف المسلمين خاصة قدسية وعظمة واحترام.

العالم، والفيلسوف، والمخترع، والبطل، والمصلح، والمجتهد، والأستاذ، والطالب، والعابد، والزاهد، والمؤمن، والمجاهد، والمهاجر، والصديق، والآمربالمعروف، والوليّ، والإمام، والنبي.. كلمات، بعضها مقرون بالعظمة والاحترام لدن أبناء البشرعامة.. وبعضها الآخرتحمل هذه الصفة عند المسلمين خاصة.

---

* - مفكرإسلامي كبير.

ومن الطبيعي أن اللفظ لا يحمل طابع القداسة بنفسه، بل بما ينطوي عليه من معنى..

جميع المجتمعات البشرية تنظر بعين التقديس إلى بعض المفاهيم مع اختلاف طفيف بينها.. وهذا التقديس يرتبط بجوانب خاصة من نفسية هذه المجتمعات في حقل تقويمها للأمور غير المادّيّة.

وهذه المسألة تحتاج إلى دراسة فلسفية و إنسانية معمقة لسنا بصددها الآن.

و«الشهيد» كلمة لها في الإطار الإسلامي قداسة خاصة..

والإنسان الذي يعيش المفاهيم الإسلامية ينظر إلى هذه الكلمة وكأنها مؤطرة بهالة من نور.

كلمة الشهيد مقرونة بالقداسة والعظمة في جميع أعراف المجموعات البشرية مع اختلاف بينها في الموازين والمقاييس، ولسنا بصدد الحديث عن المفهوم غير الإسلامي لهذه الكلمة.

الشهيد .في المعايير الإسلامية .هو الذي نال درجة «الشهادة».. أي الذي بذل نفسه، على طريق الأهداف الإسلامية السامية، ومن أجل تحقيق القيم الإنسانية الواقعية.

والإنسان الشهيد في المفهوم الإسلامي يبلغ .بشهادته .أسمى درجة يمكن أن يصلها الإنسان في مسيرته التكاملية.

نستطيع أن نفهم سبب قدسية كلمة «الشهيد» في الإسلام وفي أنظار المسلمين من خلال الآيات القرآنية الكريمة التي تتحدث عن

الشهادة والشهيد، وكذلك من خلال ما وصلنا من روايات في هذا الحقل.

**مكانة الشهيد**

القرآن الكريم يقول عن الشهيد:

﴿ وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ (آل عمران / ١٦٩).

فالشهداء .إذن .«أحياء» و«عند ربهم يرزقون».. وما أعظمها من منزلة!!

والسُنّة تُكثرمن تشبيه المكانة السامية التي يمكن أن ينالها إنسان في حياته بمكانة الشهيد.. لأنها ذروة الرقي والتكامل في المسيرة الإنسانية..

فالسائرون على طريق طلب العلم، من أجل التعرف على الحقيقة، وطلباً لمرضاة الله تعالى، لا بهدف الترفّع والاتّجار، هم شهداء في مفهوم الروايات الإسلامية إن توفّاهم الله على هذا الطريق.

وهذا التشبيه يدل على علوّ مكانة طالب العلم إضافة لما له من دلالة على أن الشهادة هي الذروة في مسيرة الإنسان التكاملية.

ونظيرهذا التشبيه ورد بشأن الساعي على طريق إدارة دفّة اقتصاد عائلته، وبالتالي على طريق إدارة اقتصاد مجتمعه.. في الحديث: «الكادّ على عياله كالمجاهد في سبيل الله»...

**حق الشهيد**

كل أولئك الذين خدموا البشرية بشكل من الأشكال لهم حقّ على بني الإنسان، سواء أسدوا خدماتهم عن طريق العلم أم الفكر أم الفلسفة والاختراع والاكتشاف أم الأخلاق والحكمة العملية.

لكنّ أيّ واحد من هؤلاء ليس له على البشرية حقّ كما للشهيد..

ومن هنا فإن ما يكنّه أبناء البشرمن تعاطف وانشداد تجاه الشهداء يفوق ما يكنّونه تجاه سائرخَدَمَة البشرية.

ولماذا هذا التفوّق؟

الدليل واضح.. كل المجموعات التي أسدت خدمات إلى البشرية مَدينة للشهداء.. لكن الشهداء قلّما كانوا مدينين لهذه المجموعات.

العالم في علمه.. والفيلسوف في فلسفته.. والمخترع في اختراعه.. ومعلّم الأخلاق في تعاليمه، محتاجون إلى أجواء حرّة مساعدة كي يقدّموا خدماتهم..

والشهيد بتضحياته يوفّرهذه الأجواء..

الشهيد كالشمعة التي تحترق وتفنى لتضيء الطريق للآخرين..

الشهداء شموع البشرية على طريقها اللاحب الطويل..

ولولا هذه الشموع لما استطاعت المسيرة البشرية أن تواصل طريقها، ولما استطاع أبناء البشرفي ظلمات الاستعباد والاستبداد أن يمارسوا نشاطاتهم ويقدّموا خدماتهم الإنسانية.

والله سبحانه يخاطب نبيه الكريم قائلاً: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا

أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ (الأحزاب/ ٤٤-٤٥).

و«السراج المنير» مفهوم يدل على الإضاءة، وينطوي على معنى الاحتراق و إزالة دياجير الظلام.

**جسد الشهيد**

أحكام الإسلام تقوم كلّها على أساس الحكمة والمصلحة، وجميعها لها دلالاتها الخاصة، وخاصة دلالاتها الاجتماعية.

ومن هذه الأحكام ما يتعلّق بالميّت من غسل وتكفين وصلاة ودفن، وكلها ذات معان خاصة لسنا بصدد الحديث عنها.

إلا أن أحكام الميت هذه لها استثناء.. وهذا الاستثناء يختصّ بجسد الشهيد.

فأحكام الميت لا تُطبق على جسد الشهيد سوى الصلاة والدفن، أما الغسل والتكفين.. فلا.

الشهيد يدفن بدمه وملابسه..

وهذا الاستثناء له مغزاه العميق، إنه يرمز إلى أن روح الشهيد بلغت درجة من السموّ والطهارة بحيث ترك هذا السمو والطُّهر آثاره على جسد الشهيد وعلى دمه، بل وحتى على ما يرتديه من لباس.

بدن الشهد «جسد متروّح» إن صح التعبير، أي أضحى وجوداً تجري عليه أحكام الروح..

ولباسه أضحى.. «لباساً متجسداً» أي تجري عليه أحكام الجسد الذي يضمّ تلك الروح الطاهرة.

فجسد الشهيد ولباسه اكتسبا الشرف من طُهر روحه وعلوّ فكره وسموّ تضحيته.

وتلك دلالة أخرى على قداسة الشهيد في المفهوم الإسلامي...

### منشأ القدسية

ما هو مبعث القدسية في «الشهادة»؟!

من الواضح أن هذه القدسية لا تأتي من كونها مقرونة بالقتل، فكثير من حوادث القتل لا تعدو أن تكون هلاك إنسان، وربما اقترنت أحيانا بالعار بدلا من الفَخار.

لنوضّح هذه المسألة أكثر...

موت الأشخاص ذو أنواع وأقسام.

١. الموت الطبيعي، الإنسان يموت بشكل طبيعي بعد أن يقضي عمره الطبيعي، ومثل هذا الموت لا ينطوي على عار ولا فَخار. ولا يستتبعه عادة أسف عميق.

٢- الموتُ الاختراميّ، وهو ما يحدث على أثر انتشار الأمراض الفتاكة والأوبئة أو وقوع الزلازل والسيول ونظائرها من السوانح الطبيعية.

هذا النوع من الموت لا يتضمّن عاراً ولا فخاراً أيضاً.. لكنه يقترن بالأسف عادة لأنه يؤدي إلى إتلاف الأفراد.

٣- الموت المصحوب بعمل جنائي، حيث المقتول بريء، والقاتل ينقضّ على فريسته إرضاء لهواه وقضاءاً على مَنْ يتصور أنه يزاحمه في مصالحه الشخصية.

مثل أنواع هذا القتل نقرأ أخبارها باستمرار على أعمدة الصحف وفي صفحات التاريخ..

فهذا رجل قتل صاحبه لمنافسة بينهما على مال أو متاع.

وهذه امرأة قتلت طفل زوجها كي تستأثر وحدها بحبّ الزوج.

وذاك الوالي أعمل السيف في رقاب أبناء وال آخر تجنباً لمنافستهم إياه في المستقبل.

وعلى مسرح مثل هذه الحوادث جانبان.. جانب يقف فيه القاتل ويداه ملطّختان بدم الجناية، وعيناه يتطاير منهما الخبث والشرر ومنظره يثير الاشمئزاز والاحتقار.. وجانب آخر يظهر فيه المقتول صريعاً مظلوماً، مهدور الدم، يُثير تجاهه عواطف الأسف والترحّم.

ومن الواضح، أن هذا النوع من الموت ـ مع ما يتضمّنه من أسف وترحّم على القتيل ـ لا يقترن بالإعجاب والافتخار، لأن المقتول لم يكن له دور في العمليّة، بل إن عوامل الحسد والعداء والحقارة هي التي أردت هذا الإنسان قتيلاً.

٤- الموت الجنائي، وهو ما يحدث على أثر جناية يرتكبها القتيل كالانتحار مثلاً، وهو أحطّ أنواع الموت. وأولئك الذين يُقتلون في حوادث اصطدام السيارات نتيجة ارتكابهم خطأ عمدياً، وكل الذين لاقَوا حتفهم على طريق الانحرافات يموتون بهذا النوع الجنائي.

٥- الاستشهاد، وهو الموت الذي يتّجه نحوه القتيل تحقيقًا لهدف مقدس إنساني، أو «في سبيل الله»، على حد التعبير القرآني، مع ما

يحتمله أو يظنه أو يعلمه من أخطارفي طريقه.

وللشهادة ركنان:

الأول. قدسيّة الهدف، والموت على طريق تحقيق هذا الهدف المقدّس، أي أن يكون «في سبيل الله».

الثاني: أن تكون الشهادة قد تمّت عن علم ووعي.

وللشهادة وجهان:

وجه مقدّس في انتسابها للمقتول.. ووجه بشع إجرامي في انتسابها للقاتل.

الشهادة .بما تحمله من صفات سامية كالوعي والاختيار وقدسيّة الهدف وخلوّها من الميول الذاتية .عمل بطولي يبعث على الإعجاب والافتخار.

هذا النوع من «الموت» هو وحده الذي يفوق «الحياة» عظمة وقدسية وأهمية.

**شهادة الحسين**

وهنا ينبغي أن نشيرإلى ظاهرة مؤسفة تطغى على مجالس ذكر الحسين بن علي (عليه السلام).

هذه المجالس تضفي على مقتل الحسين طابع النوع الثالث من الموت، أي موت الإنسان البريء الذي ذهب دمه هدراً، مع أن هذه المجالس تذكرالحسين على أنه «شهيد» بل «سيد الشهداء».

كثيرمن الموالين لآل البيت يذرفون الدموع على مظلومية سيد

الشهداء، وكأنهم يبكون على طفل بريء ذهب ضحية أهواء طاغية من الطغاة.

لو كان الحسين كذلك.. لو كان مظلومًا عديم الدورفي حادث مقتله، كسائرالمقتولين ظلماً وعدواناً.. لما كان شهيداً، فما بالك بكونه سيد الشهداء!!

ليس من الصحيح أن نحصرالحسين في إطارالإنسان الذي ذهب ضحية أهواء الطواغيت.

نعم، الوجه الآخرلفاجعة كربلاء يمثل بشاعة القاتلين و إجرامهم واستفحال أهوائهم الدنيئة.

لكن الوجه الآخرالذي يرتبط بالحسين هو الشهادة.. أي المقاومة الواعية الذكية على طريق الهدف المقدس. فمع علم الحسين بالمصيرالذي سيواجهه نتيجة مواقفه المتصلّبة رفض البيعة مع الطغاة رفضًا باتًا.. وأبى السكوت واعتبرالمداهنة معصية ما بعدها معصية.

تاريخ الحسين وما سجّله في التاريخ من كلمة وعمل، أوضح دليل على ما نقول.

الشهادة تكتسب .إذن .قداستها من صفتها التضحوية الواعية على طريق الهدف المقدس.

## رسالة إلى يزيد

الشاعر بدر شاكر السياب

إرم اِلسماء بنظرة ِ استهزاءِ
واجعلْ شرابك َمِنْ دم الاشلاءِ
واسحَقْ بظِلِّكَ كلَّ عِرض ٍ ناصعٍ
وأبحْ لنَعلكَ أعظمُ َ الضُعَفاءِ
وامْلأْ سِراجَك إنْ تَقَضّى زيتُهُ
ممّا تَدِرّ ُ نَواضِبُ الاثداءِ
واخلَعْ عليهِ كما تشاءُ ذبالةً
هُدُبَ الرضيع ِ وحِلْمَة َ العذراءِ
واسدِرْ بغيّكَ يا يزيدُ فقد ثوى
عنك َ الحُسَينُ مُمَزّق الأحشاءِ
والليل ُ أظلَم َ والقطيع ُ كما ترى
يَرنو إليكَ بأعْيُن ٍ بَلْهاءِ
وإذا اشتكى فمَنِ المغيث ُ وإنْ غفا
أين المُهيبُ به ِ الى العَلياءِ

مَثـّلْتُ غـدْرَكَ فاقـشـَعـرّ لِـهـَوْلِهِ
قـلـبـي و ثـارَو زلـزلـتْ أعضائي
و استقطرت عيني الدموع و رنـّقتْ
فـيـها بـقـايا دمـعـةٍ خـرســـاءِ
أبصرتُ ظِـلـّكَ يا يـزيـدُ يرجـّهُ
موجُ الـلـهيب ِ و عاصـفُ الأنـواءِ
رأسٌ تـكـلّلَ بالخـنى، واعـتـاض عن
ذاك النـُضـاربـحيّة ٍرقـطـــاءِ
و يدان ِ مـُوثـَقـَتـان ِ بالسوط الذي
قد كان يـعبثُ أمـس ِ بالأحـيـــاءِ
عـصـَفـَتْ بيَ الـذكـرى فألقتْ ظلـّها
فـي ناظـريّ كـواكـبُ الصـحـــراءِ
مـبـهورة َالأضـواء يغـشى وَمْـضـها
أشـبـاحُ ركـْب ٍلـجّ فـي الإســراءِ
أضـفـى عـلـيه ِالليل ستِـرًا حيكَ مِنْ
عـُرف الجـِنان ومن ظِـلال حـِراءِ
أســرى، و نـام َفـلـَيس َإلا هـمـسةٌ
باسـْم ِالـحـُسـَين ِ و جهشة ُاستبكاءِ
تلك ابنة الزهـراء ولـهـى راعـَـها
حـُلـُمٌ ألـَمّ بها مـع الـظـلـمـــاءِ

تُنْبي أخـاها و هـي تُـخفي وجهها
ذعـْراءَ، و تـلوي الجـِيدَ في إعـياءِ
عن ذلك السـهل الـملبـّد .. يـرتـمي
في الأفق مثل الـغيـمةِ الـسـوداءِ
يـكْتَظ ّبالأشـباحِ ظـمأى حشرجتْ
ثمّ اشـرأبـّتْ في انتـظـار الـماءِ
مـفـغـورة الأفـواهِ الا ّجـثـّةٌ
من غـير رأسٍ لـُطـّختْ بدمـاءِ
زحـَفـَتْ إلى مـاءٍ تـراءى ثم لـم
تبْلـُغـْهُ فانكـَفأتْ على الـحصباءِ
غـَيـْرُ الـحُسـَينِ تصدّه عـمّا انتوى
رؤيا .. فـكـُفـّي يا ابنةَ الـزهـراءِ
من للضـِعاف إذا استغاثوا والتظـَتْ
عـينا " يـزيـدَ " سـوى فتى الهيجاءِ
بأبي عـطـاشـى لاغبينَ و رضـّعـاً
صـُفـْرَ الوجوهِ خـمائص َالأحشاءِ
أيدٍ تـُمـَدّ ُإلى السـمـاءِ وأعـيـنٌ
ترنو الى الـماء الـقريب الـنائـي
عـَزَّ الـحُسينُ و جلّ عن أن يشتري
ريّ الـقـلـيل بـخـطـةٍ نـكـراءِ

## الحسين بن علي

## برؤية حضارية

**• ذكرى العاشر من محرّم تشكّل قمة شامخة من قمم المواقف الإسلامية المشرّفة • ذكرى كربلاء الحسين درس ضروري وهام لأمتنا • الاهتمام الإسلامي بهذا المقطع التاريخي يستطيع أن يحيي روح «العزّة» في نفوس المسلمين • الإسلاميون الذين ارتفعوا عن الحالة الطائفية توجّهوا نحو هذه الصفحات المضيئة من تاريخنا • سيد قطب: ما من شهيد في الأرض تهتزّله الجوانح بالحبّ والعطف، وتهفو له القلوب، وتجيش بالغيرة والفداء كالحسين رضوان الله عليه .**

يمرّ علينا شهر محرّم، ويوم عاشوراء، وذكرى كربلاء، وترتسم أمام الأعين مرة أخرى صفحة من أنصع صفحات تاريخنا الإسلامي.

ذكرى العاشر من محرّم سنة ٦١ هـ رغم كلّ ما فيها من مآس وفجائع، وما اشتملت عليه من صور انحطاط النفس الإنسانية وبيع الضمير والقسوة والوحشيّة في جبهة قَتَلَة الحسين بن علي (عليه السلام)، تشكّل قمة شامخة من قمم المواقف الإسلامية المشرّفة

الرامية إلى تسجيل المثل الأعلى في السموّ الإنساني، والصمود على طريق المبدأ، و إباء الضيم والطغيان، والتضحية بكل غال ونفيس في سبيل تحقيق رضا اللّٰه سبحانه، وفي سبيل انتشال الأمة من حالة الذل والهوان والاستسلام.

ذكرى كربلاء الحسين درس ضروري وهام لأمتنا تحتاجه دائمًا، خاصة حين تتفاقم ظروف الإذلال والاستسلام. وهذا الدرس يجب أن يدخل في وجدان الأمّة ويختلط بمشاعرها وأحاسيسها، وذاك مالا تستطيع الكتب والمقالات وحدها أن تفعله. لابدّ من استخدام الأدب والفنّ. ولابُدّ من اهتمام تربوي و إعلاميّ وشعبي واسع، وهذا غيرشائع مع الأسف على النحو المطلوب على صعيد عالمنا الإسلامي.

الاهتمام الإسلامي بهذا المقطع التاريخي الهام، و إحياؤه إحياءًا يدخل في الوجدان الشعبي، يستطيع أن يحيي روح «العزّة» في نفوس المسلمين، ويستطيع أن يعبّأ عواطف الأمة المسلمة في اتجاه رفض الخضوع للظلم والاستسلام للطغاة والمتجبرين. وبذلك يسهم في استنهاض الأمة وفي استعادة حركتها الحضارية.

لا يجوزأن تبقى ذكرى الحسين حيّة لدن طائفة من المسلمين دون غيرهم. لابد من إحيائها على الصعيد الإسلامي. عندئذ ستكون وسيلة «تقريب» بل توحيد لعواطف الأمة وأفكارها واهتماماتها وتطلّعاتها.

الإسلاميون الذين ارتفعوا عن الحالة الطائفية توجّهوا نحو هذه الصفحات المضيئة من تاريخنا، واستلهموا منها العِبَروالدروس، ومنهم «سيد قطب» رضوان الله تعالى عليه. فهو حين يقف عند معنى النصر في قوله سبحانه: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُرُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾ . يضرب مثلا من تاريخ الأنبياء بإبراهيم (عليه السلام)وهو يُلقى في النارفلا يرجع عن عقيدته ولا الدعوة إليها، فهو في موقف نصرلا هزيمة.

ويضرب مثلا من تاريخنا الإسلامي بالحسين «**وهو يُستشهد في تلك الصورالعظيمة من جانب، المفجعة من جانب. أكانت هذه نصرًا أم هزيمة؟ في الصورة الظاهرة وبالمقياس الصغير كانت هزيمة. فأما في الحقيقة الخالصة وبالمقياس الكبيرفقد كانت نصرًا. فما من شهيد في الأرض تهتزّله الجوانح بالحبّ والعطف، وتهفوله القلوب، وتجيش بالغيرة والفداء كالحسين رضوان الله عليه. يستوي في هذا المتشيّعون وغيرالمتشيعين، من المسلمين. وكثير من غيرالمسلمين!**». (سيد قطب، في ظلال القرآن)

ولنقف عند نصوص من تاريخ ثورة الحسين لنتبين أهدافَ النهضة وأبعادها الإحيائية الحضارية:

## أنا أحقّ من غيّر

**قال الحسين (ع): «أيّها الناس إنّ رسول الله، (صلى الله عليه وآله**

وسلّم) قال: (من رأى سلطانًا جائرًا مستحلاً لحرم الله ناكثًا لعهد الله مخالفًا لسنة رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلّم) يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغيّر ما عليه بفعل ولا قول كان حقًّا على الله أن يدخله مدخله) ألا و إن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيء وأحلّوا حرام الله وحرّموا حلاله، وأنا أحَقّ من غيّر، وقد أتتني كتبكم ورسلكم ببيعتكم، وأنّكم لا تسلموني ولا تخذلوني، فإن أقمتم على بيعتكم تصيبوا رشدكم، وأنا الحسين بن علي بن فاطمة بنت رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلّم) نفسي مع أنفسكم، وأهلي مع أهلكم، فلكم فيّ أسوة، و إن لم تفعلوا ونقضتم عهدي وخلعتم بيعتي فلعمري ماهي لكم بنكير، لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمّي مسلم بن عقيل، والمغرور من اغترّ بكم، فحظّكم أخطأتم، ونصيبكم ضيّعتم: ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ وسيغني الله عنكم، والسلام» .

## كفى بك ذلاً أن تُرغما

وقال الحسين(ع): أبالموت تخوّفني؟ وهل يعدو بكم الخطب أن تقتلوني؟ وما أدري ما أقول لك! ولكني أقول كما قال أخو الأوسيّ لابن عمّه وهو يريد نُصرة رسول الله(صلّى الله عليه وآله وسلّم) فقال له: أين تذهب؟ فإنّك مقتول! فقال:

سأمضي وماباالموتِ عارٌعلى الفتى إذا ما نَوى خيرًا وجاهدَ مسلمـــا
وواسَـى رجـــالاً صالحينَ بنفسِـــهِ وخـــالـفَ مثبورًا وفارق مجـــرما
فإنْ عشتُ لم أندَمْ وإنْ متُّ لم أُلَمْ كفى بـك ذلاًأن تعيشَ وتُرغما

## أذنت لكم جميعًا فانطلقوا

وقـال (ع) : «أثنـي علـى الله أحسـن الثنـاء وأحمـده علـى السـراء والضـرّاء، اللهـم إنّـي أحمـدك علـى أن أكرمتنـا بـالنبوة وجعلـت لنـا أسماعًا وأبصارًا وأفئدة وعلمتنا القرآن وفقّهتنا في الدين فاجعلنا لك مـن الشـاكرين، أمّـا بعـد فـإنّي لا أعلـم أصـحابًا أوفـى ولا خيـرًا مـن أصـحابي، ولا أهـل بيـت أبـرّولا أوصـل مـن أهـل بيتـي، فجـزاكم الله جميعًا عني خيرًا، ألا و إنّي لأظنّ يومنا من هؤلاء الأعداء غدًا، و إنّي قد أذنتُ لكم جميعًا فانطلقوا في حلّ ليس عليكم مني ذمام، هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاًوليأخذ كلّ رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي فجزاكم الله جميعًا، ثم تفرّقوا في البلاد في سوادكم ومدائنكم حتى يفرّج الله، فإنّ القوم يطلبونني ولو أصابوني لهوا عن طلب غيري».

فقال له إخوته وأبناؤه وأبناء إخوته وأبناء عبدالله بن جعفر: لِمَ نفعل هذا؟ لنبقى بعدك! لا أرانا الله ذلك أبدا! فقال الحسين: يا بني عَقيل حسبكم من القتل بمسلم، اذهبوا فقد أذنت لكم. قالوا: وما نقول للناس؟ نقول: تركنا شيخنا وسيّدنا وبني عمومتنا خيرالأعمام

ولم نرمِ معهم بسهم ولم نطعن معهم برمح ولم نضرب بسيف ولا ندري ما صنعوا؟ لا والله لا نفعل ولكنّا نفديك بأنفسنا وأموالنا وأهلينا ونقاتل معك حتى نرد موردك، فقبّح الله العيش بعدك!

وقام إليه مسلم بن عوسجة الأسديّ فقال: أنحن نتخلّى عنك ولم نُعذرإلى الله في أداء حقّك؟ أما والله لا أفارقك حتى أكسرفي صدورهم رمحي وأضربهم بسيفي ما ثبت قائمه بيدي، والله لو لم يكن معي سلاحي لقذفتهم بالحجارة دونك حتى أموت معك. وتكلّم أصحابه بنحو هذا، فجزاهم الله خيرًا.

## أنت ثقتي وعدّتي

وقال (ع): «اللهم أنت ثقتي في كلّ كرب ورجائي في كلّ شدّة، وأنت لي في كلّ أمرنزل بي ثقة وعدَّة، كم من همٍّ يضعف فيه الفؤاد وتقلّ فيه الحيلة ويخذل فيه الصديق ويشمت به العدوّ أنزلته بك وشكوته إليك رغبةً إليك عمّن سواك ففرّجته وكشفته وكفيتنيه، فأنتَ وليّ كل نعمة، وصاحب كل حسنة، ومنتهى كلّ رغبة».

## إن وليّيَ الله

وقال (ع): «أيها الناس اسمعوا قولي ولا تعجلوني حتى أعظكم بما يجب لكم عليّ وحتى أعتذرإليكم من مقدمي عليكم، فإن قبلتم عذري وصدَّقتم قولي وأنصفتموني كنتم بذلك أسعد ولم

يكن لكم عليّ سبيل، و إن لم تقبلوا مني العذر ﴿ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلا تُنْظِرُونِ ﴾ ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾».

## لاأعطيكم بيدي إعطاء الذليل

وقال(ع): «أما بعد فانسبوني فانظروا من أنا ثمّ راجعوا أنفسكم فعاتبوها وانظروا هل يصلح ويحلّ لكم قتلي وانتهاك حرمتي، ألست ابن بنت نبيّكم وابن وصيّه وابن عمّه، وأولى المؤمنين بالله والمصدّق لرسوله؟ أوَليس حمزة سيّد الشهداء عمّ أبي؟ أوَليس جعفرالشهيد الطيّارفي الجنّة عمّي؟ أوَلم يبلغكم قول مستفيض [فيكم]: إنّ رسول الله(ص) قال لي ولأخي: أنتما سيّدا شباب أهل الجنة وقرة عين أهل السنة؟ فإن صدّقتموني بما أقول، وهو الحقّ، والله ما تعمّدت كذبًا مذ عَلِمت أن الله يمقت عليه [أهلَه]، و إن كذّبتموني فإن فيكم من إن سألتموه عن ذلك أخبركم، سلوا جابربن عبدالله أو أبا سعيد أو سهل بن سعد أو زيد ابن أرقم أو أنسًا يخبروكم أنّهم سمعوه من رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) أما في هذا حاجز يحجزكم عن سفك دمي؟»

فقال له شِمر: هو يعبد الله على حرف إن كان يدري ما يقول! فقال له حَبيب بن مظاهر: والله إنّي أراك تعبد الله على سبعين حرفًا، و إن الله قد طبع على قلبك فلا تدري ما تقول.

**ثمّ قال الحسين: فإن كنتم في شك ممّا أقول أو تشكّون في أنّي ابن بنت نبيّكم؟ فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري منكم ولا من غيركم. أخبروني أتطلبوني بقتيل منكم قتلته، أو بمال لكم استهلكته، أو بقصاص من جراحة؟ فلم يكلّموه، فنادى: يا شبث بن ربعيّ! ويا حجّاربن أجبر! ويا قيس بن الأشعث! ويا زيد بن الحارث! ألم تكتبوا إليّ في القدوم عليكم؟ قالوا: لم نفعل. ثمّ قال: بلى فعلتم. ثم قال: أيّها الناس إذ كرهتموني فدعوني أنصرف إلى مأمني من الأرض.**

**فقال له قيس بن الأشعث: أولا تنزل على حكم ابن عمّك، يعني ابن زياد، فإنّك لن ترى إلاّ ما تحبّ. فقال له الحسين: أنت أخو أخيك، أتريد أن يطلبك بنوهاشم بأكثرمن دم مسلم بن عقيل؟ لا والله لاأعطيهم بيدي إعطاء الذليل، ولاأقرإقرارالعبيد. عباد الله إنّي عذت بربي وربكم أن ترجمون، أعوذ بربّي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب. ثم أناخ راحلته ونزل عنها».**

الخصائص المميزة للثورة الإسلامية العظيمة التي جعلتها في أعين المحللين والخبراء ظاهرة فريدة في تاريخ القرون الأخيرة هي خصائص لم توجد في أية ثورة من الثورات الكبرى في العالم، لا في الثورة الفرنسية، ولا في الثورة البلشفية الروسية ولا في الثورات الصغيرة التي ظهرت تبعاً لهاتين الثورتين ومترسمة خطاهما.

الإمام الخامنئي

## حاجتُنا إلى الحسين(ع)

**• عزّة تمثل مظهراً من مظاهرالحياة في هذه الأمة • محاولات أعداء الإسلام بأجمعها تستهدف إصابة أمتنا بمرض فقدان المناعة • نحتاج إلى الحسين ليعلمنا معنى النصروالهزيمة وصوت الحسين يحبط محاولات فرض حالة الهزيمة**

لا نرانا مبالغين إذا قلنا إن العالم الإسلامي يحتاج اليوم إلى الحسين بن علي(ع) أكثرمن أي وقت مضى في تاريخه.

السبب واضح هو أن المسلمين لم يتعرضوا لعملية إذلال واسعة ولتحديات رهيبة تستهدف كرامتهم وهويتهم كهذا الذي يحدث اليوم.

ما يجري في «غزّة» لا يستهدف غزّة وحدها ولا أهالي غزّة وحدهم بل يتجه إلى تدميرالعالم الإسلامي بأجمعه وقتل المسلمين بأجمعهم.

غزّة تمثل مظهرًا من مظاهر«الحياة» في هذه الأمة.. والعدوّ يريد القضاء على حياة الأمة أينما تجلّت وظهرت سواء في غزّة أو في أي مكان آخر.

يريد أن يرسّخ فينا قناعة بأننا ضعفاء ولابّد أن نستسلم.. يريد أن يقول للمسلمين بأنهم خلقوا ليأكلوا ويشربوا ويضاجعوا، ولا يتحقق لهم ذلك إلاّ إذا خضعوا واستكانوا وكانوا « كَالْبَهِيمَةِ الْمَرْبُوطَةِ هَمُّهَا

عَلَفُهَا أَوِ الْمُرْسَلَةِ شُغُلُهَا تَقَمُّمُهَا تَكْتَرِشُ مِنْ أَعْلافِهَا وَ تَلْهُو عَمَّا يُرَادُ بِهَا».

لقد نجح العدوّ إلى حدّ كبير أن يفرض على الأمة حالة الهزيمة، وكان ذلك مع شديد الأسف باستخدام فئة من المسلمين وأبناء المنطقة أنفسهم.

كم هي الجهود المبذولة على يد أبناء منطقتنا لإشاعة جوّ التحلل والابتذال و إثارة الشهوات والانغماس في الموبقات!!

كم هي الأقلام التي تحركت لتسلق مظاهر الإحياء والصحوة والعودة الإسلامية بألسنة حداد تحت عناوين مختلفة ومنها «الطائفية»!!

كم هي الفضائيات الناطقة بلغات الشعوب الإسلامية التي تصرف الانظار عن العدوّ الحقيقي لتخلق أعداءً موهومين!!

كل ذلك من أجل أن تصاب أمتنا بمرض فقدان المناعة في فكرها وشعورها.

من هنا تأتي حاجتنا الماسّة اليوم إلى الحسين بن علي(ع).

لنصيخ اسماع قلوبنا إلى صوته حيث ينادي:

«هيهات منّا الذلّة».

وحيث يقول:

«والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أقرّ إقرار العبيد».

وحيث ينشد:

سأمضي وما بالموتِ عارٌ على الفتى إذا ما نَوى خيراً وجاهدَ مسلما

وواسَى رجالاً صالحينَ بنفسِهِ وخالفَ مثبوراً وفارق مجرماً

فإنْ عشتُ لم أندَمْ وإنْ متُّ لم أُلمْ كفى بك ذلاً أن تعيشَ وتُرغما

نحتاج إلى الحسين ليعلمنا معنى النصروالهزيمة. وهذا الشهيد السعيد سيد قطب يتحدث عن معنى النصروالهزيمة في تاريخ الأنبياء ثم يضرب مثلا من تاريخنا الإسلامي بالحسين **«وهو يُستشهد في تلك الصورالعظيمة من جانب، المفجعة من جانب. أكانت هذه نصرًا أم هزيمة؟ في الصورة الظاهرة وبالمقياس الصغير كانت هزيمة. فأما في الحقيقة الخالصة وبالمقياس الكبيرفقد كانت نصرًا. فما من شهيد في الأرض تهتزّله الجوانح بالحبّ والعطف، وتهفوله القلوب، وتجيش بالغيرة والفداء كالحسين رضوان الله عليه. يستوي في هذا المتشيّعون وغيرالمتشيعين، من المسلمين»** (من الظلال).

وهنا ونحن في أجواء الأحداث الدامية بغزّة إذ نرى نجاح العدوّ في فرض حالة الهزيمة على صعيد نرى أيضًا صوت الحسين يحبط مخطط فرض الهزيمة على صُعُد أخرى حيث سقوط الشهداء وهم يرفعون أيديهم إلى السماء مكبّرين، وحيث الأمهات والأخوات الصابرات المحتسبات وهنّ يوارين أجساد شهداء غزّة، وحيث الجماهيرالمؤمنة التي تدفقت إلى شوارع عواصم العالم الإسلامي تعبّر عن صمودها وإصرارها على الجهاد في سبيل الله ونصرة المظلومين في فلسطين، وحيث العدوّ الصهيوني يفقد صوابه ويمارس عمليات جنونية تنبئ بنهايته بإذن الله، وما ذلك على الله بعزيز.

# نحو فهم حضاري لتاريخنا الإسلامي

## معركة الطف نموذجًا

محمد مهدي الآصفي*

**• حركة التوحيد تقوم على أنقاض الكفروالشرك • عندما تنهزم حركة الشرك على الجبهة الخارجية يبدأ صراعها من الجبهة الداخلية • الصراع من الداخل يمزّق الأمة ويجعلها فرقًا متناحرة • معارك صفين والطف امتداد لبدروالأحزاب وحنين• بنو أمية كانوا تجمعًا سياسيًا وحركيًا • مارس الأمويون إذلال الأمة بالإرهاب • همّ الحسين إلى إسقاط الشرعية عن الحكم الأموي • إنّ نقاء الإسلام بيد المسلمين اليوم سنّة وشيعة هو من بركات نهضة الحسين.**

من منظورحضاري إسلامي حركة التاريخ تمرّعبرصراع بين التوحيد والشرك. وليس ثمة مساومة على أنصاف الحلول في هذا الصراع لأن الاختلاف بين الجبهتين عميق تمتدّ جذوره إلى كل القيم الإنسانية. وحين ينهزم الشرك في مواجهة حركة التوحيد وجهًا لوجه، يتجه إلى النفاق لينخرفي جسد الأمة الموحّدة وليستعيد

*- عالم وباحث من العراق.

مواقعه. ومن هنا كانت ثمة معركة على ساحة التنزيل وأخرى على ساحة التأويل، وصفين والطف في التاريخ الإسلامي كانت من النوع الثاني من المعارك.

هل إن معركة الطف عثرة على الطريق أم مرحلة من الطريق؟

يقول الدكتورعبد العظيم الديب بعد أن يذكرالفتوحات الإسلامية: "هذا هو تاريخ الإسلام، أما معركة الجمل وصفين وكربلاء ... فتلك عثرات على الطريق".

وهذا المقال يناقش هذا الرأي من خلال الكشف عن حتمية الصراع التاريخي بين حركة التوحيد وحركة الشرك.

### الصراع بين حركة التوحيد وحركة الشرك

إن قوام التاريخ هو الصراع بين (التوحيد والشرك) وبين (الحق والباطل)، و إن ضاقت مساحته، واختفى عن الرأي العام، ولم يستقطب اهتمام الناس على وجه الأرض.

والحتمية أهم قوانين وسنن هذا الصراع فلا يمكن أن يمتدّ هذا الخطّان على وجه الأرض وفي حياة الناس دون أن يتقاطعا، ودون أن يؤدي هذا التقاطع الى المواجهة والصراع، فإن حركة التوحيد تقوم في المجتمع على أنقاض الكفروالشرك، ولا يقوم للشرك والكفرأساس ولا أثرفي حياة الناس إلا بزوال التوحيد. فكل منهما يطرد الآخر. وهذا التناقض بين التوحيد والشرك هو الذي يؤكد حتمية الصراع بينهما.

و إذا أردنا أن نفهم التاريخ وسننه وقوانينه وأحكامه التي يرسمها الله تعالى لنا في كتابه فعلينا أن نقرأ تاريخ الأنبياء وحركتهم في ساحة المواجهة لأقوامهم.

إن حركة الأنبياء ترسم لنا المعنى الحقيقي لـ«الصراع» و«التاريخ» وترسم سنن الصراع في جبهة التوحيد وفي جبهة الشرك، وما يتطلبه الصراع من الصبروالتضحية والعطاء في كل من الجبهتين وما يتخلل الصراع من ألوان المحنة والعذاب وما يتعقب الصراع من نصر القلة المؤمنة وسقوط جبهة الكفروالشرك، وما يرافق الصراع من تساقط وتخاذل في صفوف أنصارالحق، ومن تبادل المواقع في كل من الجبهتين.

ولا شك أن من واجب الأنبياء وتكليفهم الدفاع عن المحرومين والمستضعفين ولا شك أن الأنبياء دافعوا ووقفوا إلى جنب المستضعفين وضد المستغلين والظالمين .

ولكن هذه المعركة ليست هي المعركة الأساسية والمحورية في حركة الأنبياء، وليست هي محورصراع معركة الأنبياء، و إنما محور هذه الحركة والصراع هو الصراع بين التوحيد والشرك.

**الفهم الصحيح للتاريخ:**

وأعتقد أن هذا الفهم هوأساس الفهم الصحيح للتاريخ.

فإن التاريخ صراع ومقاومة وتحدٍ بين حركتين.. بين «التوحيد والشرك».

وفي المراحل الأولى يكون الصراع من الخارج على كيان التوحيد، وعندما تنهزم حركة الشرك في الجبهة الخارجية أمام حركة التوحيد تتحول إلى الداخل، وتبدأ الصراع من الداخل.

العدو عندما يعجز عن تسقيط التوحيد يبدأ العمل في تحريف مسار التوحيد. وبتعبير آخر يكون الصراع في المرحلة الأولى على «التنزيل» وفي المرحلة الثانية على «التأويل».

والتوحيد بذلك يواجه خطرين: خطر الاستئصال من الخارج وخطر التحريف والإفساد من الداخل، والأول يقوم به المشركون والثاني يقوم به المنافقون. ولكل من هاتين المواجهتين من الخارج والداخل أثر تخريبي واسع في الدعوة إلاّ أن الأثر التخريبي للمواجهة الثانية أوسع بكثير من الأثر التخريبي للمواجهة الأولى. ذلك أن المواجهة الأولى تزيد الأمة في طريق تحمّل رسالة الدعوة إلى الله صلابة ومتانة وقوة وتزيدهم استحكاماً وتماسكاً، أما المواجهة الثانية فهي تمزّق الأمة الداعية إلى الله، وتذرهم فرقاً وطوائف متناحرة، وتدخل التحريف إلى صلب الدعوة وتضعف الدعوة وحَمَلَتها من الداخل، بينما كانت المواجهة الأولى من عوامل قوة الأمة المسلمة التي تحمل رسالة الدعوة إلى الله تعالى. وهذه هي ظاهرة النفاق.

وقد واجه موسى بن عمران وأخوه هارون (عليهما السلام) بعد هلاك فرعون وجنده والهزيمة المنكرة التي لحقتهم ... وبعد النصر

الذي كتبه الله تعالى لبني إسرائيل على أعدائهم هذه الحركة التخريبية الواسعة من الداخل بشكل فاعل وقوي يندرمثله في حركة التوحيد.

**حتمية الصراع بين التوحيد والشرك على جبهتين:**

هذا الصراع حتمي، لأن حركة التوحيد تمتد على مساحة نفوذ الشرك وسلطانه، ولا تمتد في الفراغ وتحتل مساحة سلطانه ونفوذه. ومساحة الحياة لا تتسع للشرك والتوحيد فإذا تقدم التوحيد شوطاً توجّب على الشرك أن ينسحب عن نفس الشوط. إن التوحيد يمتد على مواقع النفوذ العسكري والمواقع الإعلامية والمواقع السياسية والمواقع المالية للشرك وتتقدم باتجاه استلام هذه المواقع.

ولا شك أن كلاّ من هذين المحورين يعمل للاستيلاء على مراكز القوى في المجتمع: المال والسلطان، والقوى العسكرية، وثقة الناس ومراكزالتوجيه، والثقافة والإعلام.

والقرآن الكريم يقررحتمية الصراع بين هذين المحورين بشكل جازم.

يقول تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُواْ أَوْلِيَاء الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً ﴾.

ولذلك فالتفكيرفي اللقاء والتفاهم والحلول النصفية مع الكفر

والطاغوت تفكير فيه كثير من الفجاجة والبساطة والضعف والهزيمة النفسية، لأن التوحيد دعوة إلى حاكمية الله في المجتمع ، ولا تتم هذه الحاكمية نظرياً و إنما تتم باستلام مواقع السلطان.

وقد صدق ذلك الأعرابي الذي اكتشف بفطرته هذه الحقيقة حينما قال: إن هذا الدين تخافه الملوك.

### كيف واجه الإسلام تحدّي الجبهتين؟

واجه الإسلام التحدي الأول (من الخارج) في مكة والمدينة مع عتاة قريش، وبعد ذلك اتسعت دائرة العركة مع اليهود المتواطئين مع المشركين، ومع اليهود المتآمرين، وانتهى هذا الشوط بهزيمة الشرك وتحالفاته ضد حركة التوحيد.

وفي هذه المرحلة تنهزم الجبهة المعادية للتوحيد ولم تعد قادرة على المقاومة والصمود والمشاكسة في مسيرة الدعوة، كما حدث بعد فتح مكة والطائف، وكما حدث هذه الهزيمة المنكرة في جيش فرعون وملئه بعد ما أهلك الله فرعون وجنده في البحر. وفي هذه المرحلة كان الهدف القضاء على الدين، ولكن شاء الله أن ينصر دينه بشكل كامل ونهائي على جبهة الشرك.

غير أن الجبهة المنهزمة تبادر بحركة سريعة إلى تغيير موقعها في تخريب الدعوة ومهاجمتها من المواجهة المكشوفة من خارج الدعوة إلى المواجهة الخفية من داخل الدعوة، بعد أن يتبين لها أن محاربة

الدعوة من الخارج أصبحت أمراً غيرممكن على الإطلاق.

وفي هذه المرحلة يكون الهدف القضاء على نقاوة الدين وسلامته وأصالته واستقامته وربانيته. وأبرزمواقع صراع المرحلة الثانية «صفين» و«الطف».

معارك «صفين»و«الطف» امتداد لـ«بدر» و«الأحزاب» و«حنين». لأن الشرك لما فشل في القضاء على التوحيد من الخارج تحول إلى الجبهة الداخلية. وتحول بذلك المشركون إلى منافقين يوجهون ضرباتهم إلى الإسلام من الداخل.

أيهما أخطرعلى الإسلام : الذين حاربوا رسول الله(ص) تحت لواء أبي سفيان في بدروأحد والأحزاب، أم الذين حاربوا وصيّ رسول الله وابن رسول الله(ص) في صفين والطف وأيهما أشرس؟

وفي الجواب، يمكن القول إن أهمية صفين والطف لا تقل عن أهمية بدروأحد والأحزاب وأنا أحيل الجواب إلى القضية التاريخية التالية التي يرويها نصربن مزاحم في كتاب «صفين»:

عماربن ياسر(رض) عاش المواجهتين، وعاش المعركتين في مرحلة الصراع على التنزيل وفي مرحلة الصراع على التأويل، لأنه عاش بدراً وأحداً والأحزاب وعاش صفينًا.

كان عماربن ياسريقول عن راية عمروبن العاص في معركة صفين لمن تسرب إلى نفسه الشك بعد أن سمعهم يرفعون الأذان ويقرأون القرآن ويقيمون الصلاة كما يرفع الناس في جيش علي

الأذان ويقرأون القرآن ويقيمون الصلاة ...

قال له عماربن ياسر(عليه السلام):

هل تعرف صاحب الراية السوداء ؟ إنها راية عمرو بن العاص، قاتلتها مع رسول الله(ص) ثلاث مرات وهذه الرابعة، ما هي بخيرهنّ ولا أبرهنّ، بل هي شرّهنّ وأفجرهنّ.

ثم قال له:

أشهدت بدراً وأحداً وحنيناً أو شهدها لك أب فيخبرك عنها؟ قال:لا.

قال: فإن مراكزعلي (ع) مراكزرايات رسول الله (ص) يوم بدر ويوم أحد ويوم حنين، و إن هؤلاء على مراكزرايات المشركين من الأحزاب.

إن الذين حاربوا رسول الله (ص) في بدروحنين لم يتغيروا عن مواقعهم ومراكزهم كما يقول عمار في صفين، وتعبيرعمار دقيق: «على مراكزهم يوم بدروأحد».

هؤلاء دخلوا الإسلام مرغمين ولكنهم التقوا على الإسلام في صفين والطف وهم بنوأمية أنجال أبي سفيان وحاولوا أن يستعيدوا أمرين:

١- مواقعهم التي سلبها الإسلام عنهم.

٢- القيم الجاهلية والعشائرية والطبقية والمنكرات التي كانوا يمارسونها قبل الإسلام.

وحاولوا أن يستعيدوا كل ذلك من خلال الإسلام، يعني: باسم

الإسلام والتوحيد لا باسم الشرك، وباسم الإسلام لا باسم الجاهلية.

وهذا الخطر هو الخطر الحقيقي الذي كان يهدد الإسلام والذي عرفه علي والحسين فحاولوا مواجهته في «صفين» و«كربلاء».

**المواجهة في الطف**

بنو أمية لم يكونوا تجمعاً ساذجاً وبسيطاً و إنما كانوا تجمعاً سياسياً وحركياً.

وبنو أمية حركة سياسية بالتعبير الدقيق لهذه الكلمة تخطط لاستعادة مواقعها السياسية والسلطوية في المجتمع الإسلامي. وأبو سفيان كان هو الدماغ المخطط لهذا الأمر، ولم يكن أبو سفيان إنساناً عادياً بل كان سياسياً يخطط لكي يصل الأمويون إلى الحكم. وعندما تولى الخليفة الثالث أمور المسلمين دخل أبو سفيان على عثمان وقال: قد صارت إليك بعد تيم وعدي فأدرها كالكرة واجعل أوتادها بني أمية فإنما هو الملك ولا أدري ما جنة ولا نار فنهره عثمان وطرده.

وعمل بنو أمية على عزل الطبقة المستضعفة التي رفعها الإسلام من مثل سلمان وأبي ذر وعمار بعد أن رفع الإسلام هذه الطبقة من قاعدة الهرم إلى قمة الهرم. وأعادوا إلى قمة الهرم الطبقة التي وضعها الإسلام.

أقرأوا «الأغاني» لأبي الفرج، و«تاريخ دمشق» و«تهذيب ابن عساكر» لكي تجدوا كيف أنهم حاولوا أن يضعوا من مكانة النبي، وسوف تقرأون أن الحجّاج كان يقول: إن خليفة أحدكم

خيرمن رسوله مشيراً إلى أن الخليفة أفضل من رسول الله، وكيف أنهم حاولوا إثارة النعرة القومية بين المسلمين والتمييزبين المسلمين العرب وغيرالعرب من الموالي، ومحاولة طرد المسلمين من غيرالعرب من الساحة السياسية، بل من حواضرالعالم الإسلامي أحياناً، كما حدث في عهد معاوية والحجاج، وعدم الاعتراف بإسلامهم لئلاّ تسقط عنهم الجزية.

وكانوا يقولون: لا يقطع الصلاة إلاّ ثلاثة: كلب أو حمارأو مولى.

وكانوا يمارسون إذلال الأمة بالإرهاب.

فقد سلك حكام بني أمية مسالك عجيبة في إذلال الأمة وتحطيم شخصيتها المعنوية لغرض السيطرة عليها وتمكين قبضتهم منها وتصفية كل حالات المعارضة والتمرد ضد النظام.

وبلغ بهم الأمرأنهم كانوا يمارسون استرقاق المسلمين وسبي المسلمات المؤمنات واسترقاقهنّ وعرضهنّ في الأسواق، كما فعل ذلك بسربن أرطأة عندما أرسله معاوية إلى اليمن بالمسلمات المؤمنات اليمانيات، سباهنّ وأقامهنّ في الأسواق للبيع.

وأفظع من ذلك كله وأبلغ في إذلال المسلمين ما كان من فعل مسلم بن عقبة (وكان يسمى بمسرف) قائد جيش يزيد بن معاوية إلى المدينة المنورة في وقعة الحرة المعروفة ... عندما احتل يزيد المدينة المنورة وأباحها لجيشه، حيث دعا المسلمين إلى بيعة يزيد بن معاوية على دمائهم وأموالهم وأهليهم، وأنهم عبيد ليزيد بن معاوية يقضي في دمائهم وأموالهم وأنفسهم بما شاء. وعلى هذه الطريقة جرى بنو أمية في إذلال المسلمين و إخضاعهم لنزواتهم ورغباتهم وتصفية

حـالات المعارضـة السياسـية والعسـكرية وتحكـيم قبضـتهم علـى مصائرالناس وأقدارهم.

وكانوا يمارسون ألوان الفجورفي قصورهم. ولعل مظاهرالتحلل والمجـون تعتبـرمـن أبـرزسـمات عصـربنـي أمية، وقـد دخـل الغنـاء والطرب والشرب والسكروالاستهتارعلى يدهم إلى الإسلام من باب واسـع، وزاول حكـامهم ألوانـاً مختلفـة مـن اللهـو والمجـون والخلاعـة وأدخلوا الفساد إلى قصرالخلافة بأبشع صوره وأشكاله.

وكـان الشـرب والسـكرأمـراً شـائعاً فـي قصـورالخلفـاء مـن بنـي أمية، إلاّ ما كان من أمرعمربن عبد العزيز.

وكان كل ذلك يتم من خلال موقع الخلافة الإسلامية، خلافة رسـول الله (ص) ومـن خـلال الإسـلام، وهـذا الخـط كـان تهديـداً للإسلام في الصميم.

ولـذلك كـان هـمّ الحسـين (ع) تسـقيط آل أميـة وسـلب الصـفة الشرعية عنهم وتجريدهم عن موقع الشرعية.

وقد حـرص الحسـين بـن علي(ع) فـي حركتـه علـى كسـرهـذا الإطارالشرعي الذي كان يحتمي به حكام بني أمية، وسلب صفة الشرعية من حكومة بني أمية، وتجريدها عن القدسية الشرعية التي كان يحرص عليها بنوأمية كل الحرص ... وبالتالي تفويت الفرصة على الحكم الأموي في تحريف الإسلام.

وكـان الإمـام يجهـربهـذه الحقيقـة ويعلـن برأيه فـي يزيـد، وعـدم أهليته للخلافة، وينال منه كلما واتته فرصة. وقد أعلن رأيه هذا في يزيد عندما دعاه الوليد بن عتبة للبيعة، ومروان حاضر، قال(ع) له بعد

كلام طويل، وهو يريد أن يُسمع مروان رأيه في يزيد، وموقفه من البيعة:

«أيها الأمير إنّا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، ومهبط الرحمة، بنا فتح الله، وبنا ختم، ويزيد رجل فاسق، شارب خمر، قاتل النفس، معلن بالفسق، فمثلي لا يبايع مثله».

وبذلك يمكن القول إن مهمة عاشوراء وكربلاء كانت بالدقة انتزاع الصبغة الشرعية من آل أمية وتجريدهم من الشرعية الإسلامية.

### عودة إلى الدكتور عبد العظيم الديب

يقول الدكتور عبد العظيم الديب إن كربلاء عثرة على الطريق فكيف نفسر ذلك؟

أقول: إذا كان يقصد بالعثرة بني أمية فإنه لم يفهم دور بني أمية في تخريب الإسلام.

وبنو أمية لم يكونوا عثرة و إنما كانوا عقبة.

و إذا كان يقصد بذلك وقعة كربلاء، فهو لم يفهم التاريخ ولا الإسلام.

فلو كان بنو أمية يمضون في طريقهم ويستبدلون ما شاءوا من قيم الإسلام وأفكاره من موقع الشرعية لم يبق اليوم من الإسلام شيء.

إن نقاء الإسلام بمفاهيمه الناصعة اليوم بيد المسلمين سنة وشيعة هو من بركات نهضة الحسين (ع) .

## قَتَل الحسين يزيدا

**أحمد الوائلي**

يومٌ طلعتَ على الزمان وليدا ... سيظلُ ملءَ فمِ الزمان نشيدا

يممتُ يومكَ كالظماءِ بلفحةِ ... الصحراء تلتمس الغديروروودا

فرأيتُ بين شروقهِ وغروبهِ ... صورا تعزُعلى النعوت حدودا

مثلتَ خيّرها ومثّل شرَّها ... نفرٌفكنتَ سَمًا وكان صعيدا

واذا أراق اليوم زاكية الدما ... فغدا سترفعها الشعوب بنودا

فرأيتك العملاق جيدًا متلعًا ... ينعى على الاقزام تُهطع جيدا

ورأيتك الفكرالحصيف يشقُ ... أستارالغيوب ويستشفُ بعيدا

ورأيتك النفس الكبيرة لم تكن ... حتى على من قاتلوك حقودا

فعلمتُ أنك نائل ما تبتغي ... حتمًا و إن يكُ شلوك المقدودا

وبأن من قتلوك ودّوا عكس ما ... قد كان لو علموا المدى المقصودا

ظنوا بأنْ قتلَ الحسينَ يزيدهم ... لكنما قَتَلُ الحسينُ يزيدا

## دور زينب

## في المسيرة الحضارية

• الإسلام ركز في مفاهيمه على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باعتباره الضمان اللازم لمقاومة المعوقات التي تظهر أمام المسيرة الحضارية • كان لابدّ من إجراء عملي كبير لإحداث هزّة نفسية في المجتمع، تُشعره بكرامته المهدورة وعزته الضائعة • أدت زينب ليلة الحادي عشر من محرم صلاة الشكر• الدرس الكبير العملي الذي قدمته زينب للأمة الإسلامية هو كيف يمكن تبديل حالة الذل إلى حالة العزّة والكرامة. • هذه الصلابة وعدم الإحساس بالضعف أفقدت صواب والي يزيد • حرصت زينب عليها السلام على صيانة روح العزّة لدى سبايا أهل البيت • من عناصر التربية القرآنية في تحقيق النصر الإيمان بالمستقبل • برزت شجاعتها ورباطة جأشها في دفاعها عن آل بيت النبوة أمام كلّ تهديد • الإسلام ربّى أبناءه كي لا يعرفوا للهزيمة معنى • أيّ جمال هذا الذي ينجلي لسليلة بيت النبوة ولا تراه العيون المحجوبة عن رؤية الجمال الحقيقي؟!!

جاءت الرسالة الإسلامية لتقدم منهج تحرير الإنسان من كل ما يعيقه عن الحركة على طريق كرامته.. تحريره من الجهل والخرافة وعبودية الطاغوت وعبودية الهوى ومن الخضوع والاستسلام لكل ما يريد للإنسان أن يكون ضعيفًا ذليلاً مقهورًا.

بهذا المنهج خلق الإسلام في المجموعة المسلمة طاقةً روحية والصبرَ على مواصلة المعاناة، وهذه الطاقة الروحية كانت وراء كل ما ظهر في التاريخ الإسلامي من فتوحات وعلوم وفنون وحضارة مشرقة.

الإسلام ركز في مفاهيمه على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باعتباره الضمان اللازم لمقاومة المعوقات التي تظهر أمام المسيرة الحضارية، وهذا المبدأ يضع المسلمين أمام مسؤولية مواجهة هذه المعوقات وبذل الغالي والنفيس لإزالتها.

هذه المعوقات غالبًا ما تكون طبيعية ناتجة عن خصلة الطين الموجودة في البشر. وتكون هيّنة حين تبرز على الساحة الفردية، فتتوجّه دعوة الإسلام إلى هذا الفرد أو ذاك للهداية ولتقويم الاعوجاج، ومن ثم لدفع هذا الإنسان على مسيرة الكرامة والكمال. غير أنها تكون خطرة حين تتحوّل إلى عائق يقف أمام كل المسيرة الاجتماعية نحو الكرامة. فيصاب المجتمع بالذل، وتنتكس المسيرة برمّتها. من هنا فإن الرساليين ـ وهم الذين استعلوا بإيمانهم عن السقوط في أوحال الذلّ ـ يتحملون من مسؤوليات التضحية بمقدار حجم الانحراف الهائل.

المجتمع الإسلامي بعد عصر الخلافة الراشدة مُني بسبب عوامل عديدة بهذه النكسة، وأوشكت حالة الذلّ أن تخيّم على المجتمع الإسلامي بعد أن أطبق عليها التخويف والتجويع والإرهاب في أفظع صوره.

من هنا كان لابدّ من إجراء عملي كبير لإحداث هزّة نفسية في المجتمع، تُشعره بكرامته المهدورة وعزته الضائعة، وكان الإمام الحسين عليه السلام يتحمل هذه المسؤولية باعتباره إمام ذلك المجتمع. (محمد مهدي شمس الدين، *ثورة الحسين*).

كل مواقف الحسين وحركاته وسكناته وكل ما قاله وخاطب به أصحابه وأهل بيته وما خاطب به الجيش القادم على قتاله يؤكد هذه الحقيقة.. حقيقة أنه قادم لإعادة الكرامة إلى المجتمع الإسلامي.

ليس حديثنا عن الحسين، بل عن عقيلة بني هاشم زينب بنت علي التي كان لها الدور الأكبر بعد الحسين في عملية إحياء المجتمع المسلم، فماذا كان دورها الرسالي في تحقيق هذا الهدف الكبير؟

لابدّ أن أذكر أولاً أنها كانت ـ في اعتقادي ـ مؤهّلة تمامًا لحمل هذا الدور. لا تتوفر لدينا وثائق كثيرة عن شخصيتها، ولكن ما ذكره لنا التاريخ من نتف عابرة هو كاف لمعرفة شخصية هذه المرأة وتأهّلها لهذا الدور. يكفي ما ذكره لنا التاريخ أن هذه المرأة يخاطبها

الحسين في أعظم وأصعب موقف، في ليلة الاستعداد للقتل والسبي.. في ليلة العاشرمن محرم ويقول لها : «**يا أختاه لا تنسيني في نافلة الليل**»!!

إني أفهم من هذه العبارة شيئًا كثيرًا .. بعضه أستشعره دون أن أتمكن من بيانه، وبعضه يمكن بيانه، إنها عبارة تبين ارتفاع الأخ والأخت إلى مستوى يفوق بكثيرالحالات التي تصيب الناس العاديين حين يواجهون موقفًا رهيبًا، تبين مدى ارتباط الأخوين بالهدف الكبيرومدى سموّهما في القرب الإلهي.

وثمة وثيقة أخرى بقيت خالدة عن هذه المرأة هي قولها عند وقوفها على جسد أخيها المدمى المقطع بالسيوف المحزوزالرأس.. وهو مشهد يهدّ الجبال ويضعف الأبطال، قولتها المشهورة:

«**اللهم تقبل منّا هذا القربان**»!! ومن الأفضل للإنسان أن يكفّ عن أي تعليق على هذا القول ويكتفي بما يُحدثه في النفس من عاصفة تحيّرالعقول وتدهش النفوس!!

وثمة وثيقة ثالثة تبيّن تأهل هذه المرأة لمثل هذا الدورالرسالي ما ذكره المؤرخون أنها **أدت ليلة الحادي عشرمن محرم صلاة الشكر**.

يا إلهي كفى على عظمتك شهيدًا أنك خلقت أمثال هؤلاء العظماء الذين لا تقاس بهم عظمة سماواتك وأرضك.!!!

وهل يمكن أن نقبل أمام هذه العظمة ما يصرّبعضنا على روايته

من ضعف وانهيارأصاب هذه المرأة الكبرى.. أنا على يقين من أن روح الضعف والهزيمة التي مُنينا بها هي التي تجعلنا نصوّرزينب بما لا يليق بهذه المرأة العظيمة.

الدرس الكبيرالعملي الذي قدمته زينب للأمة الإسلامية هو كيف يمكن تبديل حالة الذل إلى حالة العزّة والكرامة.

والبديع في الأمرأن أسرها ساعدها في النهوض بهذا الدور الرسالي التاريخي.

لو كانت زينب عزيزة بإخوتها وأهل بيتها وعشيرتها وأصحابها لما استطاعت أن تؤدي هذه المهمة. ولكنها وقعت في ذلّ الأسربعد أن فقدت إخوتها وأهل بيتها وحماتها، ولا شك أن الأسرذلّ ما بعده ذلّ خاصة حين يكون بيد أناس ذبحوا ابن بنت رسول الله، وأحرقوا خيم عياله، ورضّوا أجساد القتلى بالخيل، ومارسوا ألوان الفظاظة والقسوة والدناءة.

ولكن دورزينب هوأنها حوّلت هذا الذل إلى عزّة وكرامة، وكأني بها قالت للمجتمع الذي خيّم عليه الذل: أنا امرأة وحيدة لا ناصرلي ولا مُعين حوّلت حالة الذلّ التي وقعتُ فيها إلى حالة عزّفهل فيكم من بقايا كرامة ؟!

كيف مارست زينب هذا الدورالرسالي الكبير؟

**١ .عدم الشعوربالهزيمة :**

وهذه صفة هامة لمن يتأهّل لتحويل الهزيمة إلى انتصار. لو بدا على

زينب الانكسارأو الضعف والانهيارلما استطاعت أن تؤدي مهمتها، لكنها في مواقفها كانت من القوة بحيث جعلت المؤرخين يتحدثون عن هذه المواقف. قال بشربن خزيم الأسدي وهو يصف موقف زينب لدى خطبتها في الكوفة:«ونظرت إلى زينب بنت علي (عليها السلام) يومئذ فلم أرخَفرة أنطق منها كأنها تُفْرغ عن لسان أمير المؤمنين عليه السلام، وقد أومأت إلى الناس أن اسكتوا فارتدّت الأنفاس وسكتت الأجراس».

هذا الموقف يدل على أن صلابة شخصية زينب قد أثّرت في هذا الرجل كما أثرت في كل المخاطبين. يقول الراوي: «لقد رأيت الناس يومئذ حيارى يبكون وقد وضعوا أيديهم في أفواههم. ورأيت شيخًا واقفًا إلى جنبي يبكي حتى اخضلَّت لحيته وهو يقول: بأبي أنتم وأمي كهولكم خيرالكهول وشبابكم خيرالشباب ونساؤكم خيرالنساء ونسلكم خيرنسل لا يُخزى ولا يبزى».

هذه الصلابة وعدم الإحساس بالضعف أفقدت صواب والي يزيد، عبيد الله بن زياد، فما بالك بالآخرين الحاضرين في مجلسه؟! حين أُدخل عيال الحسين على ابن زياد فدخلت زينب متنكرة وعليها أرذل ثيابها، فمضت حتى جلست ناحية من القصر، وحفّت بها النساء. فقال ابن زياد: مَنْ هذه التي انحازت فجلست ناحية ومعها نساؤها؟ فلم تجبه زينب، فأعاد ثانية وثالثة يسأل. فقالت بعض النساء: هذه زينب بنت رسول الله(ص).

لاحظوا عظمة الموقف: دخلت على أعتى مستكبروأبشع قاتل وأفظع طاغية، فما التفتت إليه، ولا وقفت أمامه، ولا استأذنته في الجلوس، بل أهملته وانحازت وجلست مع النساء في جانب من القصر، ثم لم تجب على سؤال الطاغية رغم أنه كرره ثلاثًا.

هذا يعني أنها لم تستشعرأيّ ضعف ولم يساورها أي شعور بالهزيمة.

**٢ .المحافظة على روح العزّة :**

حرصت زينب عليها السلام على صيانة روح العزّة لدى سبايا أهل البيت كي لا يستشعروا الذلة في أسرهم، ولكي يكونوا هم أيضًا صورة لمن يأبى أن يُذلّ.

في الرواية أن السبايا بالشام حين أُدخلوا في دارإلى جانب المسجد الأعظم كان من الطبيعي أن تزورهم النساء، فتجمّعن على باب هذا البيت للدخول على زينب، فخشيت زينب أن يساورنساء آل بيت النبوة نوع من الإحساس بالذلة أمام بقية النساء، فرفضت زينب دخول النساء عليها وقالت: «**لا تدخل علينا إلا مملوكة أو أُمّ وَلَد فإنهنّ سُبين كما سُبينا**».

لاحظ أنها سمحت لدخول نوع خاص من النساء يشاركن أهل بيت النبوة في الأحاسيس والمشاعر، دون بقية النساء اللاتي لا يحملن مثل هذا الإحساس والتاريخ المشترك.

وفي الرواية أن قافلة السبايا حين دخلت الكوفة قدّم بعض أهل هذه المدينة تمرًا وخبزًا. فصاحت زينب: «**إن الصدقة حرام علينا أهل البيت**». فرمى كلّ واحد منهم ما في يده أو فمه رغم ما كان يعانيه من جوع وراح يقول: لصاحبه: إن عمتي تقول إن الصدقة حرام علينا أهل البيت!!

بهذا الشكل جعلت هذه الأسرة الكريمة تستشعر عزتها وكرامتها في انتسابها لآل بيت رسول الله(ص).

**٣ ـ الإيمان بالمستقبل :**

من عناصر التربية القرآنية في تحقيق النصر الإيمان بالمستقبل، الإيمان بانتصار العدل على الظلم وانتصار الدم على السيف وانتصار المستضعفين على المستكبرين. هذا الإيمان كان راسخًا في نفس زينب وكان له الأثر الكبير في تحقيق هدفها الكبير.

في الرواية أنها رأت التأثر الكبير على علي بن الحسين وهو يستعرض ذكريات الواقعة الأليمة في كربلاء، ومشهد الأجساد المتناثرة على الرمضاء، فقالت له : «**مالي أراك تجود بنفسك يا بقية جدي وأبي و إخوتي، فو الله إن هذا لعهد من الله إلى جدك وأبيك، ولقد أخذ الله ميثاق أناس لا تعرفهم فراعنةُ هذه الأرض، وهم معروفون في أهل السماوات أنهم يجمعون هذه الأعضاء المقطعة والأجسام المضرجة فيوارونها وينصبون بهذا الطف علمًا لقبر أبيك سيد الشهداء، لمّا يُدرس أثره ولا يُمحى رسمه على مرور الليالي والأيام،**

**وَلَيَجْتَهِدَنّ أئمة الكفروأشياع الضلال في محوه وطمسه فلا يزداد أثره إلاّ علوّا».**

وبهذا الإيمان بمستقبل تسقط فيه دولة الظالمين تخاطب يزيد قائلة:

**«فَكِدْ كيدَك واسعَ سعيَك، وناصبْ جُهدَك، فوالله لا تمحو ذكرنا ولا تُميتُ وحينا، ولا تُدرك أمدَنا، ولا ترحَضُ (تغسل) عنك عارها، وهل رأيك إلا فَنَد، وأيامك إلا عَدَد، وجَمْعك إلا بَدَد، يوم ينادي المنادي ألا لعنة الله على الظالمين.**

**فالحمدُ لله الذي خَتَم لأولنا بالسعادة والمغفرة، ولآخرنا بالشهادة والرحمة، ونسأل الله أن يكمل لهم الثواب ويوجب لهم المزيد ويحسن علينا الخلافة، إنه رحيم ودود، وحسبنا الله ونعم الوكيل».**

**٤ ـ الشجاعة :**

وهي خصلة بارزة في مواقف السيدة زينب، وقد ورثتها عن أبيها، بل عن مدرسة أبيها وجدها، وهي مدرسة القرآن التي تعلّم الإنسان أن يخشى الله ولا يخشى سواه، تربّت على أن الحوادث مهما كانت جسيمة لا يهتزلها قلب، ولا يرتجف لها جسد، وعلى أن تستقبل الموت وتطلبه، ومن طلب الموت كُتبت له الحياة وكُتب له الخلود.

فهي تقف أمام طاغية زمانها لتقول له:

**«ولئن جرّت عليّ الدواهي مخاطبتك إني لأستصغر قدرَك**

**واستعظم تقريعَك، واستكبرتوبيخَك، لكن العيون عبرى والصدور حرّى».**

الطاغية المتفرعن أمامها لا يستحق حتى التقريع والتوبيخ، فهي أكبرمن أن تخاطبه بأي شيء حتى بالتقريع والتوبيخ.. أية شجاعة هذه؟!!

برزت شجاعتها ورباطة جأشها في دفاعها عن آل بيت النبوة أمام كلّ تهديد، فتنقّلها بين الخيام المشتعلة راكضة لتجمع الأطفال وتقيهم من النارو التشرّد موقف لا يصدرإلا عن امرأة لم تفقد السيطرة على نفسها حتى في ذلك الموقف الرهيب الذي يزلزل أعاظم الرجال.

وهكذا وقوفها مدافعة عن علي بن الحسين (عليه السلام) حين أمرابن زياد أن تُضرَب عنقه، «**إذ تعلّقت به عمّته وقالت: يا ابن زياد حسبك من دمائنا. واعتنقته وقالت : والله لا أفارقه فإن قتلته فاقتلني معه**».

وموقفها من الرجل الذي طلب من يزيد أن يهب له فاطمة بنت الحسين باعتبارها جارية، إذ نهضت زينب وقالت: «**كذبت والله ولؤمت ما ذاك لك ولا له (أي ولا ليزيد)**».

فغضب يزيد وقال: كذبتِ إن ذلك لي ولو شئت أن أفعل لفعلت.

فأجابته العقيلة : «**كلاّ والله ما جعل الله لك ذلك إلاّ أن تخرج من ملتنا وتدين بغيرها**».

فاستشاط الطاغية غضبًا وقال:

إياي تستقبلين بهذا إنما خرج من الدين أبوك وأخوك.

فقالت له دون أن تؤثرفيها حدّة الخصم :

«**بدين الله ودين أبي ودين أخي اهتديت أنت وجدّك وأبوك لو كنت مسلمًا**».

فَقَدَ يزيد صوابه وصرخ : كذبت يا عدوّة الله.

فأجابته بما يُنهي هذا التصعيد بعد أن سجلت موقفها الشجاع وقالت: «**أنت أميرتشتم ظالمًا وتقهربسلطانك**».

وتقول الرواية: فكأنه استحيا وسكت.

وتنتقل أخبارهذه المواقف إلى العالم الإسلامي وتتناقلها الأفواه التي أُلجمت، والألسن التي بُكمت باعتبارها ملاحم آل بيت رسول الله فتفعل فعلها في النفوس.

**٥ .مفهوم النصروالهزيمة :**

من العوامل الهامة التي تستطيع أن تحوّل الهزيمة إلى نصروالذلّ إلى عزّة ما يحمله الإنسان من مفهوم عن معنى النصروالهزيمة.

والإسلام ربّى أبناءه كي لا يعرفوا للهزيمة معنى، فهم ينالون على أي حال إحدى الحسنيين، وانحسارالحق لا يعني فشله وضعفه بل يعني تمحيص المؤمنين الصادقين، وانتفاش الباطل لا يعني انتصاره لأنه هو استدراج أهل الباطل كي يزدادوا إثمًا. هذه المفاهيم كانت

زينب عليها السلام تبثها في المجتمع محاولة تصويريزيد المنتصرفي الظاهرعلى أنه المهزوم، وتصويرآل البيت المنهزمين في الظاهربأنهم المنتصرون.. المنتصرون بما نالوا من فوزالشهادة.. والمنتصرون على المدى البعيد حين تهدم دماؤهم عروش الطواغيت.

تقول (عليها السلام) مخاطبة يزيد :

«**أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطارالأرض وآفاق السماء فأصبحنا نُساق كما تُساق الإماء أن بنا هوانًا على الله وبك عليه كرامة؟! وأن ذلك لِعَظم خَطَرك عنده ؟! فشمخت بأنفك، ونظرت في عِطفك جذلان مسرورًا، حيث رأيت الدنيا لك مستوسقة، والأمورَ متّسقة، وحيث صفا لك ملكنا وسلطاننا!!**

**فمهلاً مهلا، لا تطش جهلا. أنسيت قول الله تعالى: ﴿وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌلأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْمًا وَلَهُمُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾**».

وتقول مخاطبة ابن زياد حين قال لها: الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم وأكذب أحدوثتكم.

تقول له : «**الحمد لله الذي أكرمنا بنبيه محمد(ص)، وطهّرنا من الرجس تطهيرًا. إنما يُفتضح الفاسق ويُكذَبُ الفاجر، وهو غيرنا والحمد لله**».

يعاود ابن زياد الطعن فيقول : كيف رأيتِ فعلَ الله بأهل بيتك؟

تجيبه بنفس تلك المفاهيم فتقول: «**كتب الله عليهم القتلَ فبرزوا**

**إلى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم فتتحاجون وتتخاصمون عنده».**

وفي رواية أخرى هي الراجحة في رأيي أنها قالت:

**«ما رأيت إلا جميلاً.. وسيجمع الله بينك وبينهم..»**

نعم .. ما رأيت إلا جميلاً.. في هذه العبارة تتلخّص كل شخصية زينب بنت علي (عليهما السلام).. وكل نظرتها العرفانية إلى الأمور.

أيّ جمال هذا الذي ينجلي لسليلة بيت النبوة ولا تراه العيون المحجوبة عن رؤية الجمال الحقيقي في هذا الكون!!.. وأي جمال تستشعره هذه العارفة بالله ولا تحسّه القلوب القابعة في أكنّة الآثام والرذائل !!.

وفي عبارة أخرى تخاطب يزيد مؤكدة أن ما فعله فإنما هو قد أباد نفسه بنفسه تقول له :

**«فوالله ما فَرَيت إلاّ جلدك، ولا هززت إلا لحمك .... ﴿ولا تحسبنّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتًا بل أحياء عند ربهم يُرزقون﴾».**

هذه المفاهيم بثتها زينب في المجتمع، وانتشرت وذاعت بفضل الدماء التي سُفكت في كربلاء، وكانت الشرارة التي أيقظت الناس من سباتهم العميق.

**٦ .التبكيت :**

حينما تكون الضمائر هامدة والنفوس رخوة والإرادة مهتزّة لا بدّ

من التبكيت الشديد لتكون صَعْقة لاستثارة بقايا الحياة في هذا الجسد واستنهاض بقايا الهمّة فيه.

القرآن مارس هذا التبكيت مع المهزومين والضعفاء والمترددين.

وزينب انطلاقًا من هذه المدرسة القرآنية خاطبت أهل الكوفة الذين التفّوا حول موكب الأسرى يبكون لهول الجريمة.. يبكون ولكن بكاء من فقد إرادته واستسلم للواقع السيئ.. ولا قيمة لهذا البكاء.. تخاطب زينب هؤلاء فتقول:

**«يا أهل الكوفة، يا أهل الختل والغدر، أتبكون ؟! فلا رَقَأت الدمعة، ولا قُطعت الرنّة، إنما مثلكم كمثل التي نَقَضَت غزلها من بعد قوة أنكاثًا..**

**أتبكون وتنتحبون ؟! أي والله فابكوا كثيرًا واضحكوا قليلاً، فلقد ذهبتم بعارها وشنارها ولن ترحضوها بغسل بعدها أبدًا ...**

**ويلكم يا أهل الكوفة أتدرون أيّ كبد لرسول الله فريتم؟! وأيّ كريمة له أبرزتم؟! وأي حرمة له انتهكتم ؟! »**

ولا تقريع أكثر من أن يسمعوا بأنهم فَرَوا كبد رسول الله، وأبرزوا كرائمه وانتهكوا حُرَمَه.

وتخاطب يزيدَ فتستعرض ما نزل بآل بيت النبوة بصورة مؤثرة جدًا تحرّك حتى الضمائر الميتة فتقول:

**«أمِنَ العدل يا ابن الطلقاء تخديرُك حرائرك و إمائك وسَوقُك بنات رسول الله سبايا، وقد هُتكت ستورهنّ وأُبديت وجوهُهُنَّ، تحدو**

**بهنّ الأعداء من بلد إلى بلد، يستشرفهنَّ أهلُ المناهل والمناقل، ويتصفّح وجوههنَّ القريب والبعيد والدنيء والشريف، ليس معهنَّ من حماتهنَّ حميّ، ولا من رجالهنَّ وليّ؟!!.**

**وكيف تُرجى مراقبة من لفظ فوه أكباد الأزكياء ونبت لحمه بدماء الشهداء ؟!»**

بهذا النهج نهضت زينب عليها السلام بدورها التاريخي، فقد استنهضت الهمم وأيقظت العزائم، فانتفضت الأمة تطالب بكرامتها وتستعيد عزّتها، وبذلك تواصلت حركة التاريخ الإسلامي التي أوشكت أن تقف وتنتكس، وقدمت عطاءها على مرّالزمن، ولا يزال هذا العطاء متواصلاً إلى يومنا هذا يؤتي أكله كل حين. غيرأن المسيرة يعتريها دائمًا وبشكل طبيعي التلكّؤ بسبب العوامل المضادة، بل قد يعتريها الركود والخمود، لذلك فإنها بحاجة دائمًا إلى نهج زينب وصوت زينب ليدفع بالمسيرة إلى أهدافها المنشودة.

هذه الثورة قامت على أصول مستحكمة. وضعت نصب عينيها تطبيق العدالة وكذلك الحرية والاستقلال (وهي التي تشكل أهمّ القيم للشعوب) وأيضا المعنويات والأخلاقيات.

هذه الثورة تركيب من مشروع العدالة ومشروع التحرر ومشروع حاكمية الشعب والمعنوية والأخلاق. مع فارق طبعاً بين هذه العدالة والعدالة الموهومة المدّعاة التي أطلقها الشيوعيون في الاتحاد السوفيتي السابق والدول التابعة له.

**الامام الخامنئي**

## دُرَرُ السِّمط في خَبَرِ السِّبط
## لابن الأبّار القضاعي

أبو عبد الله الله محمد بن عبدالله القضاعي. ولد في بلنسية من مدن الأندلس سنة ٥٩٥هـ ونشأ فيها. تلقّى العلم على شيوخ بلدته وألمّ بفنون كثيرة من العلم والأدب، وبرع في التأليف والتصنيف، واشتهر بشعر الاستصراخ، أي طلب النجدة لإنقاذ الأندلس (ومرّت بعض أشعاره في هذا الموضوع)، وله اهتمام خاص بحادث شهادة الحسين(ع) وواقعة الطف.

من أهمّ مؤلفاته في تاريخ الأندلس وأدبائها كتاب *التكملة لكتاب الصلة* (لابن بشكوال)، *والحلّة السيراء*. وفي الحسين بن علي: درر *السِّمْط في خبر السبط*، وكتاب: *معادن اللُّجين في مراثي الحسين*.

اشتغل ابن الأبار في ديوان الكتابة لوالي بلنسية، وحينما حاصر الإسبان مدينته ذهب ابن الأبار في وفد إلى سلطان تونس أبي زكريا يحيى مستنجدًا، وأنشد سينيته المعروفة، لكنّ النجدة وصلت متأخرة وسقطت بلنسية بيد المهاجمين سنة ٦٣٦هـ. وخرج ابن الأبار وأسرته منها إلى تونس. وساءت العلاقة بينه وبين المستنصر بن يحيى حاكم تونس بسبب دسّ الخصوم، فأمر بقتله، فقتل مظلومًا سنة ٦٥٨هـ.

ورسالته في الحسين ليست من قبيل السرد التاريخي، بل هي عرض أدبي يبيّن فيها الكاتب مشاعره بأسلوب جميل، يغلب عليه السجع، وتتخلّله أبيات من الشعروآيات من القرآن، وفيه لوعة واستعبار.

جاء في الفصول ٢٧ - ٣٤ من الرسالة:[١]

«وكم رجا ابنُ مرجانة[٢] أن يجرّعُهُ المهانةَ: وتلك التّي تَستكُّ منها المسامِعُ[٣].

قال ابن الطاهرتين[٤]، أأنزل على حكم ابن مرجانة، متى سَلَفت أولى فَتُخلَف بثانية؟!

في مسلم وهاني زاجرٌ، فأنّى يؤمّن برًا فاجرٌ[٥].أي عبيدَ آلُ صخر![٦] جدّي سيّد ولد آدم ولا فَخر. أمِنّي تروم الدنيّة، كأنّي أهابُ المنيّة!؟

أكرّعلى الكتيبة لاأبالي أحَتْفِي كان فيها، أَمْ سِواها[٧]

جاء عنه أنه خطب في ذلك الخطب الجليل وزهّد في عيش كالمرعى الوبيل، وقال لاأُعطيكم بيدي إعطاء الذَّليلِ.

---

١- دررالسمط في خبرالسبط، تحقيق عزالدين عمرموسَى.

٢- أي عبيد الله بن زياد.

٣- البيت للنابغة الذبياني .

٤- الحسين بن فاطمة وخديجة.

٥- أي لايؤمّنُ ابنُ زياد الفاجرُالحسينَ البِرَّ.

٦- عبيد آل أمية وأتباعهم .

٧- البيت لعباس بن مرداس.

سأغسِل عنّي العارَبالسّيف جالبًا  عليَّ قضاءَ الله، ما كان جالبًا

ليرغَبَ المؤمنُ في لقاء الله، يحمَدُ معادَه، فإنّي لاأرى الموت إلاّ سعادة، ﴿وعجلت إليك ربّ لِترضى﴾.

هوّن قدرَالدّنيا وصروفَها، وبيّن إقبالَ مُنكَرِها و إدبارَمَعروفِها، ونادى فأسمعَ، وقد عزم طلاقَها وأزمع: «ألاترون الحق لا يُعمَل به والباطل لا يُتَناهى عنه».

إلى ديّان يوم الدّين نمضي  وعند الله تجتمعُ الخصوم

* * *

أحبَّ السبط لما أعضل الداء وكثُرَأولياءه الأعداء، أن يَجلُو الخفيّةَ والخبيّةَ ويبلُوَ ما عند فئة فيها بليّة، والكريم لا يُوالِسُ، ولا يُدالس[1]، فجمَعَهم وهُمْ أُزيد من سبعين رجّالة وفوارس، ثمَّ أذنَ لهم في الانطلاق وعدمِ التنفيس في الخناق، وقال لبني عقيل: حسبكم لمسلم تحمّلاً، وهذا الليل قد غَشِيَكم فاتّخذوه جَمَلاً.

فأبوا إلاّ نيلَ المرام، أو موتَ الكرام، ورأوا أنّ العيش بعدهُ عين الحرام.

إذا ما أعضَلَ الأمرُدفعنا الشّرَبالشّر

وما للحُرّمنجاةٌ كمثل السيف والصّبر

كان من جوابهم، إذ رخَّصَ في ذهابهم: لِمَ نَفعَلُ ذلك؟ لنبقى بعدك؟ الاوالله حتّى نَرِدَ وِردَك.

---

١- لايخادع.

إن كان بُعدكُمُ في العيـش لي إربٌ فـلا قضيـت إذًا من حبّكـم إربًا

بوركوا أشرافًا، ونصعوا أوصافًا، وأوسعوا سيدَهم إنصافًا.

أحيـوا فـرادى ولكنهـم علـى صحبة البيـن ماتوا جميعًا

عصبوا بأمره أمورَهم، وبذلوا دون نحره نحورَهم، مستحلّين من الحِمام، ومستوفين على غاية الكمال والتمام.

عينـيَ ابكـي بعبـرةٍ وعويـلِ وأنـدُبي إذ نـدبت آل الرسـول

ستّـةٌ كلهّم لُصلـبِ عَلـيّ قـد أُصيبـوا وخمَسـةٌ لعقيلِ

* * *

عاشـرُالمحـرَّم أُبيحـت الحرمـات، وأُفضيت علـى النـورالظلمـات، فتفاقم الحادثُ، وحَملَ على الطيبين الأخابثُ، وضُرب السبط على عاتقه ويسراه، وما أجرأ من أسالَ دَمَهُ وأجراهُ. ثمَّ قُتِلَ بعقب ذلك ذبحًا، يُبكي حتّى العاديات ضبحًا، أجزاء حائلةُ الحُلى[1]، وأشلاء كزُمنَ على البلى. ومال الغُواةُ على المتاع والثّياب، ونازعوا النّساء ما علـيهن فـي النّهـاب، إلـى خـدود خـدّوها، وقـدود قـدّوها ومحـارم استحلّوها وانتهكوها، وأكارمَ أبقوا جثثَهم وتركوها: جُـزُرًا لخامعةٍ ونَسرٍقَشْعَمِ[2].

فياللّه من أيدٍ عادية، وأنفسٍ مُصادية[3]، فُصِلَت بالخُسران خَزايا،

---

١- أي تغيّرت محاسنها.

٢- شطربيت لعنترة: والخامعة: الضبُع. والقشعم: النسرالمسنّ.

٣- أيد معتدية وأنفُسٍ ميتة.

وحَمَلَت كرائمَ أظعانٍ سبايا.

فما في حريمٍ بعدَها من تحرّج ولا هتكِ ستر بعدَها بمُحَرّم

باب الندبة هنا يحسُن، فدع ما يُسِرّلما يُحْزِن.

أترجو أُمةٌ قتلت حسينًا شفاعةَ جدّه يومَ الحساب..

أعجبهم أن يتخبط غليلاً، قبل أن يتشحّط قتيلاً: ﴿إِنَّ هَؤُلاء يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءهُمْ يَوْمًا ثَقِيلا﴾.

أتنتَهِب الأيامُ أفلاذَ أحمد وأفلاذ من عاداهم تتودَّد

ويضحى ويظمى أحمد وبناته وبنت زياد وِردُها لا يُصرّد

أفي دينه في أمنه في بلاده تضيق عليهم فسحةً تتوردُ

وما الدّين إلاّ دين جدّهم الذي به أصدروا في العالمين وأوردوا

* * *

ومن نادرالاتفاق، السائرفي الآفاق، أن قُتِلَ يومَ عاشوراء ابنُ زياد، وهي من خارقات الاعتياد، أوجده ابن الأشتر[1] فقده، حين ضربه في المعترك فقدّه، ثم أحرق جثّته الخبيثة، وأذهبَ عُبيّتَهُ[2] القديمة والحديثة. واتفاق آخرفي ذلك المقام والأهوال لا يتأخرفي الغرابة عن رتبة الأول، وهو أن أُدخِلَ برأسه على عليّ بن الحسين وهو يتغدّى، في أخذه بما كان يحيف ويتعدّى، فلمّا رآه، قال سبحان الله، ما اغترّبالدّنيا إلا من ليس في عنقه نعمة. لقد أُدخل رأس أبي عبدالله(ع) على ابن زياد وهو يتغدّى أليس عجيبًا؟! إنّ ذا لَعَجيبُ.

---

١- ابراهيم بن مالك الاشتر.

٢- عُبيّته: أنفته وتكبّره .

هذا إلى وقعة جبّانة السبيع[1]، واشباه لها آحاد وجميع. وما كان الدّم الطّاهرليذهب ويضيع، وكَفى بفعل عبدالصمد بن علي[2]، وقوله، في سَطوه بالأمويّة عند انقراضه وصَولِه:

ولقد شفى نفسي وأبرأ سُقمها أخذي بثأري من بني مروان
من آل حربٍ ليتَ شيخي شاهدٌ سفكي دماء بني أبي سُفيانِ

* * *

وهَبِ الرّجال تُحزّرؤوسُهم وتُبزّنفوسهم، ما للنساء بالكوفة يُؤسَرن و إلى دمشق يُسيَّرن؟!!:

بناتُ زيادٍ في القصورمصونةٌ وآلُ رسول الله في الفَلَوات[3]

لا ينقضي العجب من يزيد يُعيّرُعبيدَ الله حملَهنَّ على الأقتاب مسافرات، ويقعد هو وبطانته لرؤيتهنّ سافرات، بعد أن بعث بالرأس للبعيد والقريب، وعَبَثَ في قرعِ الأسنان بالقضيب: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّوَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾.

ومقبَّلٌ كان النبيّ بِلَثمِهِ يَشفي غَرامَهْ
قَرَعَ ابنُ هند بالقضيـ ـبِ عذابَه فرطَ استضامَهْ
وأشادَ نغمتَه عليـ ـه وصبّ بالفضلات جامه
لَيُضَرّسَنَّ يدَ الندامةِ حين لا تغني النَدامَة

ومع قعوده لما اعتقده فتحًا، وعرضهنّ في الهيآت المتناهيات قبحًا،

---

١- موضع بالكوفة قُتل فيه قَتَلة الحسين .
٢- أميرهاشمي عباسي .
٣- من تائية دعبل الخزاعي.

فقد دمعت عيناه الجَمُود وأقرّبحقّهنّ وهو الجَحُود.

* * *

تمثل يزيد ورأس الحسين بين يديه، وقد أطال النّظرلو ازدجر واعتبرلديه:

تعلّق هامًا من رجالِ أعزةٍ علينا وهم كانوا أعقَّ وأظلما

وقال: لعن الله ابن سميّة، لو كانت بينه وبينه رَحِم، ما فعل هذا: ﴿كَلاّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ، فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءلُونَ﴾.

أكثربه في الآفاق المدار، فأظهرمروان إليه البدار، يرتجزما يَغيظُ الإيمان، ويقول: كأنّي أنظرإلى يوم عثمان[1]، لو ذكرحبسَ الحكَمَ بالطائف[2]، ما شَمَتَ بقتل الحسين بالطّف، ولم تخنقه في مصيبته عَبرة، فمات خنقًا وفي ذلك عبرة.

أيّها العاذُل الذي بعذابي توكّلا
عِشْ صحيحًا مسلّمًا لا تعيّرفتُبتَلى

تناولته الأيمان وتناقلته الركبان، تسيربه بل تسيل، فجثمان حيث الفرات وجمجمة حيث النيل[3].

يا بُعدَ مصرع جثّة من رأسها رأسٌ بمصرَ وجثّة بالرّخّج[4]

* * *

---

١- هذا قول مروان بن الحكم يشمت بقتل الحسين.

٢- الحكم بن العاص أبو مروان نفاه رسول الله(ص) إلى الطائف.

٣- يقصد مصر.

٤- الرُخّج: قرية قرب بغداد.

أهـانَ منـه عبيـدُ اللّه[1] الـدّعي، مـا أكـرمَ عبيـدُ اللّه[2] الشـيعي، فاعجَبَ لهذين السميّين كيف تفاوتا في النّزول والسّمو، وكأنّما تفاوضـا فـي التسـمّي بـالوليّ والعـدوّ، فأقـدمَهُما أراقَ دَمَـهُ بحربتـه، وأحدثهما نصرمَنْ زَعَمهُ في الكون من ذريته. ولمّا صارملك مصر لأبنائه، جعلوا له مصنعًا[3]، تأنّقوا في بنائه، فجاء للروضة نظيرًا، وبما أُشرب من ماء الذّهب نضيرًا، يقيّد الأبصارجمالاً، ويَدْلَهُ الأفكار جلالاً، قد أودع من الرّخام الغريب ما أودع، وكلّما أُعيدَ في ترصيعه وأُبدي أبدَعَ [4].

وهنالـك مسـجد أُلبسـت المرمـرَحيطانُـه، وفيـه حَجَـريصـفُ الأشـخاصَ لمعانُـه، داخلُـهُ يبـادراستلامه، قبـل أن يقضـي سـلامه[5]، ويرسل دموعه، بعدما يصل خشوعه، وقد علّقوا عليه ستورالدّيباج، وأنفوا لمصابيحه أن تُسرَجَ في الزّجاج، فهي من الفضّة البيضاء، كما صُفَّت أمواه الإضاء[6]، تقديسًا لتلك الهامة، لاعدمت صوبَ الغمامة.

وقبلهـا بَنَـى أبـوهم المهديّـةَ بـالمغرب، وصـارمُ صـريمتِهِ غيـرَنـابي الـمَضرب، ضـارعًا بكلمتـه الخالـدة فـي العـوالم: اليـوم آمنَـتُ علـى الفواطم.

---

١- ابن زياد .

٢- عبيدالله المهدي الفاطمي .

٣- بناءًا .

٤- قارن بما ذكره ابن جبيرفي وصف الروضة الشريفة .

٥- أي قبل أن يسلّم بيدو وكأنه استلمه .

٦- أي مياه البحيرة .

فقيل في تلك البنيّة ما أوماً للميتة الحسينيّة:

خطّـت بأرجـاء المغـاربِ دارٌ  دانـت لهـا الأمصـارُوالأقطـارُ
لاذت ببـرد الـماء لـمَّـا أيقـنت  أن القلوبَ على الحسينِ حِرارُ

* * *

أيّـة فتنـة عميـاء، وداهيـة دهيـاء!! لاتقـوم بهـا النـوادب، ولاتبلـغ معشـارها النوائـب. طاشـت لهـا النُّهـى وطارت،وأفلَـتْ شُـهُب الـدُّجا وغارت، لولاها ما دخل ذلٌ على العرب، ولاأُلف صيدُ الصقربالخَرَب، وقُصـفَ النّبـعُ بـالغَرَب[1]، فـانظرإلى ذوي الاستبصـار، خُضّـعِ الرّقـاب نواكسِ الأبصار.

وإنّ قتيـل الطّف من آل هاشـم  أذلّ رقـاب المسلمـين فذلَّـتِ

مـا سـكَنَت سُـكينة[2]، حتـى أسـمعت القـوم، مـا تجـاوزالتثريـب واللّوم، إذ خرجـوا لتوديعهـا ورغبـوا فـي تشـييعها، ومصـعب بـن الزّبيـر، بعلهـا، قـد خذلَتَـهُ الكوفـة وأهلهـا: أيتمتـموني صـغيرةً، وأرملتمـوني كبيرةً.

* * *

ويلَـكَ يـا قاتـلَ الحسـين لقـد  نـؤتَ بحمـل ينـوءُ بالحامـلِ
أي حبـاء حـبوت أحمـدَ فـي  حُفرتِـهِ مـن حـرارةِ الثـاكل
تعـالَ فاطلـب غَـدًا شـفاعَتهُ  وانهض فَرِدْ حوضَه مَع الكاهلِ

---

١- أمثال تضرب للشريف يعتدي عليه الوضيع والخَرَب : طائرُالحبارى النبع: شجرفي أعالي الجبال والغَرَب: شجرفي الوديان.

٢- سكينة بنت الحسين(ع).

ما الشـك عنـدي في حال قاتلـه  لكـنـني أشـكُّ فـي الـخاذل[1]

* * *

ما عُذرُالأموية وأبنائها، في قتل العلوية وأفنائها، ﴿أهم يقسمون رحمة ربك؟!﴾

كم من دليل في غاية الوضوح على أنهم كسفينة نوح، من ركب فيها نجا ومن تخلّف عنها غرقَ.

ثم يحبسهم آل الطليق، ويطردهم آل الطّريد: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِالْحَمِيدِ﴾...

من عصبة،ضاعت دماءمحمد(ص)

وبنيــه، بين يزيدها وزيادهــا

كان الحسين يقطع اللّيل، تسبيحًا وقرآنًا، ويزيد يتلف العُمر تبريحًا وعدوانًا. «عمرك الله كيف يلتقيان»[2]. افتتح بكربلاء أمره، وختمه بعد ذلك بالحَرّة[3]، إنَّ هذا لهو البلاء المبين. انهبَ المدينةَ ثلاثًا، وقتل أهله كهولاً وأحداثًا ، ومالبث أن قتلهُ الجُدري ، وأدبر، ورأيه الدّبري[4]. ثم انكفأ ابنه عاجلاً وانقلب، وصار المُلك بعد أبي ليلي لمن غلب. قرضهم التسلّط في السلطان، واعتصرما وَهَبَ لهم العصران:

ثــمَّ صـاروا كأنهّم ورقٌ جــ  ـفَّ فألوت بـه الصّبا والدبورُ[5]

---

١- الابيات للشاعرالشيعي منصورالنمري.

٢- انظرقصيدة ابن عربي في الإصفهانية.

٣- هجوم جيش يزيد على مدينة رسول الله(ص).

٤- هو الرأي بعد فوات الأوان.

٥- الدبور: ريح تقابل ريح الصبا.

## فتى كربلاء

## العباس بن علي( ع )

**• الفتوة تحرر من الذاتية والأنانية •أصحاب الفتوة نهضوا في الفترات العصيبة لإسعاف أمتهم • السقاؤون من سلاسل الفتوة ومنهم سعدي الشيرازي •يتشرف السقاؤون بالانتساب إلى فتى كربلاء العباس بن علي •كان العباس يسمى سقاءا ويسمى أبا قربة • العباس دخل في الوجدان الشعبي بأنه الفتى الذي قتل على طريق الوفاء بالعهد.**

الفتوة في التاريخ الإسلامي من مظاهر حياة هذه الأمة، ومن معطيات ثقافتنا التي تحفّز دائمًا على الاستنهاض والحركة على طريق الكمال الإنساني.

الفتوة خصلة فطرية في الإنسان تحفّزه على الخروج من ذاتيته وأنانيته ليسخّر نفسه في سبيل مثله الأعلى عن طريق خدمة الناس، وليقدّم التضحيات من أجل ما يحبّ ويعشق. والإنسان الراسف في أغلال ذاتيته ومتطلبات بهيميته ميّت، لأنه ليس بعاشق، وليس بحيّ، وحافظ الشيرازي يفتي بإقامة صلاة الميت عليه!!

هركه دراين حلقه زنده نيست بعشق

بـــراو بفتـــــواى مـــن نمـــاز كنيد

أي: كل من ليس في جمعنا حيًا بالعشق

أقيمـوا عليه – بفتواي – صلاة الميـــت

وهذه الفتوى ليست طبعًا فتوى فقهية، بل هي فتوى حضارية ترى الإنسان حيًا بالعشق، أي بالحركة نحو المثل الأعلى المعشوق، ومن يفتقد هذه الحركة التكاملية فهو ميّت.

من هذا المنطلق الإحيائي نشأت سلسلة الفتوات في العالم الإسلامي، وأُلّفت حولها الكتب والرسائل والدراسات قديمًا وحديثًا، وجمع المستشرق براون عدة رسائل بالفارسية حول الفتوة تحمل اسم «فتوّت نامه» أي كتاب الفتوّة.

ويلاحظ فيها جميعًا أن أصحاب الفتوة نهضوا في الفترات العصيبة من حياة الأمة ليثبتوا رجولتهم، ولا نعني طبعًا الرجولة الجنسية، بل الرجولة الروحية، أي ليثبتوا أنهم يعيشون من أجل خدمة الناس، ويضحون براحتهم بل وبنفسهم أحيانًا في سبيل إسعاف حالة فردية أو اجتماعية في أوطانهم.

ويلاحظ في هذه الكتب أن أصحاب الفتوات متعالون على انتماءاتهم الضيقة القومية أو الطائفية. ففي السلسلة الواحدة تجد عربًا وعجمًا، وتجد سنّة وشيعة، وتجد خطابًا يجعلك تنظر إلى هذه الجماعة بأنها ارتقت إلى مستوى الملائكة!!

وتجد بين سلاسل المنتمين إلى الفتوات من العاملين في الحقول المختلفة. وأخصص الحديث هنا عن سلسلة السقائين.

هذه السلسلة كانت تحمل الماء في زمن شحّ الماء إلى المحتاجين لتروي الظمأى، وكان في هذه السلسلة رجال كبار تشرّفوا بحمل قربة الماء وخدمة الناس ومنهم سعدي الشيرازي الشاعر الإيراني الذي أنشد بالعربية والفارسية، وقدم أروع الآثار العالمية في أثريه: **گلستان** = روضة العطر، وبوستان، روضة الورد.

ومـن الملفـت للنظـرأن هـؤلاء السـقائين يتشـرفون فـي انتسـاب سلسـلتهم إلى فتـى كـربلاء العبـاس بـن علـي بـن أبـي طالـب (عليـه السلام) والعباس مدفون في كربلاء، وضريحه مزارللعاشقين، ويقع على بعد ٥٠٠ مترتقريبًا من ضريح أخيه الإمام الحسين بن علي(ع).

عن العباس يروي أبو مخنف في كتابه مقتل الحسين:

عن الضحاك بن قيس أن الحسين عليه السلام لما خطب خطبته على راحلته ونادى في أولها بأعلى صوته : أيها الناس اسمعوا قولي ولا تعجلـوني، سـمع النسـاء كلامـه هـذا فصـحن وبكـين وارتفعـت أصـواتهن . فأرسـل إلـيهن أخـاه العبـاس وولـده عليًـا وقـال لهمـا : اسكتاهنّ فلعمري ليكثرنّ بكاؤهن ، فمضيا يسكتاهن حتى إذا سـكتن عـاد إلى خطبته ، فحمد الله واثنى عليه وصلى على نبيه. قال: فوالله ما سمعت متكلمًا قط لا قبله ولا بعده أبلغ منه منطقًا. وقال أبو جعفروابن الأثيرلما نشبت الحرب بين الفريقين تقدم عمربن خالـد ومـولاه سـعد ومجمـع بـن عبـدالله وجنـادة بـن الحـرث فشـدوا مقدمين بأسيافهم على الناس، فلما وغلوا فيهم عطف عليهم الناس، فاخـذوا يحـوزونهم وقَطَعوهم مـن أصـحابهم ، فنـدب الحسـين عليـه السلام لهـم أخـاه العباس ، فحمل على القوم وحده ، فضرب فيهم بسيفه حتى فرقهم عن أصحابه وخلص إليهم. فسلموا عليه فأتى بهـم. ولكـنهم كـانوا جرحـى ، فـأبوا عليـه أن يسـتنقذهم سـالمين ، فعاودوا القتال وهو يدفع عنهم، حتى قتلوا في مكان واحد ، فعاد العباس إلى أخيه اخبره بخبرهم . قال أهل السير: وكان العباس ربما ركزلوائه أمام الحسين وحامى عن أصحابه أو استقى ماءا فكان يلقـب السـقاء ، ويكنـى أبـا قربـة بعـد قتلـه . قـالوا : ولمـا رأى وحـدة

الحسين عليه السلام بعد قتل أصحابه وجملة من أهل بيته قال لإخوته من أمه : تقدموا لاحتسبكم عند الله تعالى فانه لا وَلَد لكم، فتقدموا حتى قتلوا ، فجاء إلى الحسين عليه السلام واستأذنه في القتال. فقال ( ع ) له : أنت حامل لوائي ، فقال : لقد ضاق صدري وسئمت الحياة ، فقال له الحسين ( ع ) . إن عزمت فاستسق لنا ماءًا ، فأخذ قربته وحمل على القوم حتى ملأ القربة. قالوا واغترف من الماء غرفة ثم ذكر عطش الحسين(ع) فرمى بها وقال :

يا نفس من بعد الحسين هوني وبعده لا كنت أن تكوني
هذا الحسين وارد المنون وتشربين بارد المعين؟!

ثم عاد فأخذوا عليه الطريق فجعل يضربهم بسيفه وهو يقول:

لا أرهب الموت إذ الموت رقا حتى أُراني في المصاليت لقى
إني أنا العباس أغدو بالسقا ولا أهاب الموت يوم الملتقى

فضربه حكيم بن طفيل الطائي السنبسي على يمينه فبراها فأخذ اللواء بشماله وهو يقول:

والله إن قطعتمُ يميني إني أحامي أبدًا عن ديني

فضربه زيد بن ورقاء الجهني على شماله فبراها ، فضم اللواء إلى صدره ( كما فعل عمه جعفر إذ قطعوا يمينه ويساره في مؤتة فضم اللواء إلى صدره ) وهو يقول :

ألا ترون معشر الفجّار قد قطعوا ببغيهم يساري

فحمل عليه رجل تميمي من أبناء أبان بن دارم ، فضربه بعمود على رأسه ، فخر صريعًا إلى الأرض ، ونادى بأعلى صوته : أدركني يا أخي ، فانقضّ عليه أبو عبد الله كالصقر فرآه مقطوع اليمين واليسار مرضوخ الجبين ، مشكوك العين بسهم مرتثًا بالجراحة ،

فوقف عليه منحنيًا وجلس عند رأسه يبكي حتى فاضت نفسه ثم حمل على القوم فجعل يضرب فيهم يمينًا وشمالا، فيفرّون من بين يديه كما تفرّ المعزى إذا شد فيها الذئب وهو يقول : أين تفرون وقد قتلتم أخي . أين تفرّون وقد فتتّم عضدي . ثم عاد إلى موقفه منفردًا وكان العباس آخر من قتل من المحاربين لأعداء الحسين عليه السلام ، ولم يقتل بعده إلا الغلمان الصغار من آل أبي طالب الذين لم يحملوا السلاح. وفيه يقول الكميت بن زيد الأسدي :

وأبو الفضل إنّ ذكرهم الحلو شفـــاء النفوس في الأسقام
قتـــل الأدعيـــاء إذ قتلـــوه أكـــرم الشاربين صوب الغمام

ويقول حفيده الفضل بن محمد بن الفضل بن الحسن بن عبيدالله بن العباس ( ع ):

إنـي لأذكـر للعبـاس موقفـه بكـربلاء وهـام القوم تختطف
يحمي الحسين ويحميه على ظمأ ولا يـولى ولا يثـنى فيختلف
ولا أرى مشهدًا يومًا كمشهده مع الحسين عليه الفضل والشرف
أكرم به مشهـدًا بانت فضيلته ومـا أضـاع له أفعاله خلـف

وأنا استرقّ جدًا من رثاء أمه فاطمة أم البنين الذي انشده أبو الحسن الأخفش في شرح الكامل، وقد كانت تخرج إلى البقيع كل يوم ترثيه وتحمل ولده عبيدالله فيجتمع لسماع رثائها أهل المدينة، وفيهم مروان بن الحكم فيبكون لشجى الندبة . قولها رضى الله عنها :

يـا مـن رأى العبـاس كـر على جمـاهير النقـد
ووراه مـن أبنـاء حيـدر كـل ليـث ذي لبـد
أنبئـت أن ابنـي أصـيب برأسـه مقطـوع يـد

ويـــل علـــى شـــبلي أمـــا ... ل برأســـه ضـــرب العمـــد
لـــو كـــان ســـيفك فـــي يـــد ... يـــك لمـــا دنـــا منـــه أحـــد

وقولها:

لا تـــدعونّي ويـــك أم البنـــين ... تـــذكّريني بليـــوث العـــرين
كانـت بنـونٌ لـي أُدعـى بهـم ... واليوم أصبحت ولا من بنين
أربعـــة مثـــل نســـورالربـــى ... قد واصلوا الموت بقطع الوتين
تنـــازع الخرصـــان أشـــلاءهم ... فكلهم أمسى صريعًا طعين
يـــاليت شعرى أكَمـــا أخبـروا ... بـــأن عباسًـــا قطيعُ اليمين؟!!

(انتهى ما نقلناه من مقتل أبي مخنف)

والعباس دخل في الوجدان الشعبي بأنه ساقي عطاشى حرم الحسين، وبأنه وَعَدَ بنات أخيه أن يأتي لهنّ بالماء، وظلّ يجدّ في إيصال الماء إلى الخيام حتى بعد أن قطعت يمينه ويساره، إلى أن جاء سهم فأصاب القربة. فانهارت قوى العباس على أثرالنزف في يديه وعلى أثرالجراح في بدنه والضربة على رأسه وأفظع من ذلك إراقة الماء الذي وعد بإيصاله إلى حُرَمِ رسول الله(ص). فوقع في مكانه ودُفن حيث سقط ولذلك كان مرقده على مسافة من الحسين وسائرالشهداء.

وهكذا أصبح هذا الرجل المثل الأعلى للفتوّة عامة، ولسلسلة السقائين بشكل خاص.

وما أجدربأمتنا أن تحيي هذا المثل الأعلى في وجدانها، خاصة ونحن نعيش في عصرغياب «الشهامة» و«الرجولة» و«الفتوة»، بل وفي عصريحاصرفيه أهل الشهامة والفتوّة، ويُرشقون بألسنة حداد ويُقتلون وتهدّم بيوتهم ظلمًا وعدوانًا.

## ذكرى الحسين
## فرص وتحديات

**• حادثة كربلاء أضخم موقف في مكافحة البدعة • الانتصار الاسلامي في إيران نسف أخطرالبدع السائدة في العالم الاسلامي • موقف السيد الخامنئي من مكافحة البدع في إحياء ذكرى الحسين صفحة بيضاء أخرى من تاريخ آل محمد في إحياء السنة وإماتة البدعة • الإمام الخامنئي: لابد أن أقول كلمتي تجاه أي انحراف • مكافحة البدعة يجب أن تكون مقرونة بوعي شامل للإسلام.**

الالتزام بالقرآن والسنة أعظم ميزة تختص بها الجماعة المسلمة. وهذه الميزة توحّد الأمة في الفكر، والعاطفة، والروابط، والمسير، والهدف، وتحول دون أن تتلاعب بها الأهواء وتعصف بها التيارات وتفتك بها عوامل التفرقة والشتات.

ومن الواضح جداً أنّ الأمة الإسلامية كانت موحدة بقدرما كانت ملتزمة بالقرآن والسنة، ثم دبّ فيها الشقاق واتسع باتساع دخول "البدع" فيها.

الكفروالإلحاد والزندقة لا تمزق الأمة كما تمزقها البدعة. لأن الأمة تقف جميعها صفاً واحداً أمام الكفرة والملحدين والزنادقة، غير أنها إزاء البدعة ـ وهي الانحراف المتقمّص لباس الدين ـ تنقسم على

فـريقين: فريـق واع مـتفهم لدينـه يميـزالحـق مـن الباطـل، فينكـر البدعـة، وفريـق لـم يبلـغ مستوى التمييـزوالتمحيص، فيتجـه مـدفوعاً بعاطفــة ســطحية أو بذاتيــة ضــيقة إلــى الانحــراف العشــوائي وراء المبتدعين، وقد يبلغ به التعصب لها حدّ تقديم النفس والنفيس.

وبـرزت البـدع فـي تـاريخ الإسـلام مـن يـوم أنّ أجـازت السـلطة الحاكمة لنفسها أنّ تشرّع خلاف نصوص القرآن والسنة، فدخلت في المجتمع الإسلامي بدعة التمييزالطبقي والتمييزالعنصري، وبدعة السكوت أمام التسلط الفرعوني، ومن يوم أنّ ولي أمرالأمة ولاة من سفهائها وفجارها، فاتخـذوا مـال اللّه دولاً، وعبـادة خـولاً، والصـالحين حرباً، والفاسقين حزباً (عبارة الإمام علي عليه السلام).

لقـد ظهـرعلـى مـرالتـاريخ دعـاة وقفـوا بوجـه البـدع وحاربوهـا، واسترخصـوا كـلّ نفيس مـن أجـل إعـلان زيفهـا، وقـدّموا دمهـم فـي سـبيل مكافحتهـا، وفـي سـبيل إعـلان حكـم اللّه صـريحاً واضـحاً بشأنها.

ومرّت علينا قبل أيام ذكرى "عاشوراء" الحسين بن علي سبط رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله)، التي سجلت أعظم موقف إسلامي ملتزم في مكافحة بدع العصرالأموي، السياسية منها والاقتصادية والفكرية والعقائدية.

وهذه الذكرى ـ وإن اتخذت طابعاً مذهبياً مع الأسف ـ هي في

الواقع حدث هام يجب أنّ يعتزبها كلّ مسلم غيورعلى أمته و إسلامه، لأن صاحبها لم يكن يمثل طائفة خاصة من المسلمين، بل كان يعبّرعن آمال كلّ المسلمين الّذين يستهدفون العودة إلى إسلام رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام دون أنّ تشوبه بدعة المبتدعين وانحراف المنحرفين.

مَنْ من المسلمين اليوم لا يعرف مكانة الحسين (عليه السلام) ولا يجلّ الأهداف التي أعلنها، ولا يقف موقف إعظام وخشوع أمام جسامة التضحية التي قدّمها؟.

مَنْ من المسلمين اليوم لا يعرف فضل الحسين على الأمة بما بذله في سبيل إحياء روح العزة والكرامة والمقاومة والأصالة والالتزام ورفض البدع فيها ؟ فلماذا إذن تبقى ذكرى"عاشوراء" محدودة في إطارمذهبي معين ؟ لماذا لا تتسع لتشمل كلّ من يعرفون للحسين مكانته وأهدافه وتضحياته، وآثارثورته في مسيرة الحياة الإسلاميّة؟!

وثورة الحسين إن استطاعت أن ترسم الطريق أمام كلّ المصلحين تجاه المبتدعين، فهي لم تستطع ـ في ظل غياب الوعي الإسلامي و إقصاء القيادة المبدئية للأمة ـ أن تضع حداً لظهورالبدع، فاستمرت الانحرافات بأشكال شتى، واستمرت أيضاً الثورات لتصحيح المسارعلى يد الذين دخلت ثورة الحسين (عليه السلام) في وجدانهم وترسخت في نفوسهم وعواطفهم.

ما أردنا في هذا المقال أن نقف عند ثورة الحسين رائدة مكافحة البدع في التاريخ، لأنها أشهر من أن نتحدث عنها، وأعظم من أن نخصّص مقالاً لها، بل أردنا أن نلمّح إلى موقف عظيم آخر اتخذه سليل الحسين العبد الصالح الإمام الحسيني السيد علي الحسيني الخامنئي لنفض مارا ن على ذكرى الحسين (عليه السلام) من بدع هي أبعد ما تكون عن روح الإسلام وروح أهداف عاشوراء.

لقد اهتم الحريصون على "حياة" الأمة بإبقاء ذكرى الحسين حية في النفوس، ووضعوا لنا "منهاج إحياء الذكرى" في إطار ملتزم محافظ على تعاليم الإسلام ومبادئه. وعلى مر الزمن ـ وفي ظل غياب الوعي و إقصاء القيادة المبدئية ـ طال منهاج الإحياء هذا ما طال سائر أمور الدين من بدع وانحراف وظهر فيه ما يسيء إلى عظمة الذكرى ورساليتها. وظهر بين الفينة والأخرى من تصدّى لهذه البدع، لكن الموقف الغالب منها كان السكوت خوفاً من ردّ فعل العامة والغوغاء، كما كان هناك من يشجّع هذه البدع والخرافات ليعيش على دفئها كما يعيش المشعوذون على دفء جهل الناس وهبوط مستوى تفكيرهم.

الانتصار الإسلامي الكبير في إيران نسف أخطر بدع كانت تسود الذهنية الإسلاميّة، تدور حول استحالة إقامة دولة الإسلام، وحول انفصال الدين عن السياسة، وحول عدم إمكان الانتصار

على الطاغوت العالمي المستفحل. وبعد انهيار هذه البدع الكبرى كان لابد من الالتفات إلى البدع الأخرى الموروثة من عهود الانحطاط وضعف الصوت الإسلامي الملتزم. ومع أنّ حياة الإمام الراحل السيد الخميني (رضي الله عنه وأرضاه) كانت مليئة بعد الانتصار الإسلامي بمهام إقامة الدولة، وتثبيت الأسس والمفاهيم، ومواجهة الحرب الطويلة الظالمة، لكنه لم يترك فرصة دون أن يعلن استنكاره لظاهرة انحرافية أو لبدعة يراها في المجتمع ويقدّم توجيهه اللازم بشأنها.

واصل هذا الطريق خَلَفُه بجدّ ونشاط خاصة مع ازدياد موجة الحركة الثقافية والاجتماعية الدينية بسبب توقف الحرب.

ويأتي موقف السيد ولي أمر المسلمين ـ سدد الله خطاه ـ من بعض البدع في إحياء ذكرى الحسين (عليه السلام) أيام شهر محرم، ليسجل صفحة تاريخية بيضاء ناصعة من صفحات تاريخ آل محمّد (صلوات الله عليهم أجمعين) في إحياء السنة و إماتة البدعة.

صحيح أنّ حادثة عاشوراء بكل ما أحاط بها من مأساة لم يعرف التاريخ لها نظيراً، تدمي القلب، وتحزّ في النفس وتثير عاطفة وهياجاً في وجدان من يحب رسول الله وآل بيته، لكن إحياء هذه الذكرى في العواطف يجب أن يكون في حدود ما أقرّته السنة، وكل خروج عن ذلك فهو بدعة تشوّه الوجه الناصع للإسلام، وتفتح

المجال للجهلة والمغرضين أن يعبثوا كيفما شاؤوا في شعائرالعزاء الحسيني، ويأتوا كلّ يوم بطامّة جديدة.

وهذا ما حدث بالفعل حين عمد نفرإلى إشاعة إدماء الرأس والجسم يوم العاشرمن محرم، تحت عنوان المشاركة العاطفية مع دماء العترة الطاهرة التي أريقت في كربلاء.

ومهما يكن الدافع في هذا العمل نزيهاً فإنه خروج على السنة و"أشبه شيء بالخرافة" ( علي حدّ تعبيرالسيد القائد) ولا يقره الإسلام.

وواضح أنّ اتخاذ موقف تجاه هذه الظاهرة وأمثالها يصطدم بعواطف أولئك الذين يقدسون هذه العادات، ويجعلون منها وسيلة قربة إلى الله سبحانه وتعالى، ووسيلة انشداد بآل رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام.

ولكن العالِم الملتزم يجب أن يُظهرعلمه تجاه البدعة رغم لوم اللائمين. وهذه بعض العبارات التاريخية الخالدة من خطاب السيد ولي أمرالمسلمين في هذا المجال باختصارشديد:

ـ"الخطابة (في مجالس العزاء الحسيني) يجب أن تدورحول ثلاثة محاور:

تعميق العاطفة تجاه الحسين بن علي (عليه السلام) وآل بيت رسول الله (عليهم صلاة الله).

و إعطاء صورة واضحة للمستمع عن حادثة عاشوراء، وبث الوعي الديني والعمق الإيماني تجاه المعارف الدينية. يجب أن نحذر تماماً من أي فعل يبعد مجلس العزاء الحسيني عن فلسفته الواقعية.

ـ(إدماء الرأس) ليس من الدين: إنّ الله لا يرضى عنه دون شك. وعلماء السلف كانوا مكتوفي الأيدي وغير قادرين أن يقولوا شيئاً (تجاه هذه البدع)، أما اليوم فهو يوم حاكمية الإسلام وسطوع نجم الإسلام، فلا يجوز أن يشوب مجتمعنا الإسلامي السامي ما يظهره بمظهر خرافي غير منطقي.

ـأنا واثق أنّ هناك من سيعلّق على كلامي هذا، تحدوه عاطفة نبيلة قائلاً: حبذا لو أنّ فلاناً لم يتحدّث عن هذا الموضوع الآن ! كلا! لابد أن أقول كلمتي، لابد أن أقول كلمتي. أنا مسؤول أكثر من الآخرين. أنتم أيها السادة يجب أن تقولوا أيضاً كلمتكم.

ـهذا خطر كبير في عالم الدين والمعارف الدينية، حماة حدود العقيدة يجب أن يلتفتوا إلى ذلك.

ـالمرحوم آية الله العظمى السيد البروجردي هذا العالم الكبير، والمجتهد القوي العميق المتفتح نهى ـ كما نُقل ـ عن تقبيل عتبة (مراقد أئمة آل البيت) مع

أنّ هذا العمل قد لا يخلو من استحباب وذلك لكي لا يوحي هذا العمل أننا نسجد لقبور أئمتنا. فمن الذي يشيع اليوم العادات الخاطئة بين الناس (في طريقة زيارة قبور الأئمة)؟! أخشى أن يكون (ترويج هذه الظواهر الانحرافية) من عمل الأعداء!".

وأمام هذا الموقف التاريخي الشجاع يتحمل الإسلاميون مسؤولية كبرى.

مسؤولية إشاعة الوعي الإسلامي العميق لتجفيف منابع مظاهر الانحراف والبدع.

ولنا في الخاتمة حديث مع كلّ المصلحين العاملين على مكافحة البدع في عالمنا الإسلامي.

مكافحة البدع يمكن أن تجمع الأمة ويمكن أن تفرّقها وتزيد في تمزّقها:

تجمعها إن كانت محاربة البدع تنطلق من فهم واع حضاري عميق لمفهوم البدعة، وكانت مصحوبة بعملية توعية شاملة على الإسلام بكل جوانبه وأبعاده الواسعة، كما يحدث اليوم في ظل دولة الإسلام المباركة.

وتفرّقها وتمزّقها إن كانت تفهم البدعة فهماً ضيقاً متخلّفاً لأنه ـ بموجب هذا الفهم ـ ستكون العلوم الفلسفية والكلامية التي هي حصيلة الدراسات العقائدية لعلماء الإسلام، وسلاح الدعاة لمواجهة

الأفكار الهدامة، ستكون بدعة لأنها لم تكن في زمن الصحابة والتابعين!! وستكون المؤتمرات والندوات والاحتفالات التي تقام لإحياء ذكرى رموز الإسلام في مواليدهم ووفياتهم بدعة!!، وسيكون الاهتمام بمراقد هؤلاء الرموز وزيارتها لاستلهام معطيات حياتهم الجهادية والفكرية بدعة أيضاً!!.

ولقد شهدت القرون الأخيرة مثل هذه التيارات لمكافحة البدعة أضرّت ـ مع الأسف ـ أكثر مما نفعت، ومزقت الأمة أكثر مما جمعتها على القرآن والسنة.

وتُفرّقها أيضاً إنْ لم يصحبها وعي كامل بالإسلام في جميع أبعاده السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعقائدية. لأن الجاهل بلبّ لإسلام سيتشبث بالقشور ويتعصّب لها وينازع من أجلها، وتأتي النتيجة عندئذ خلاف ما يتوقعه الداعية في تجميع الأمة على هدى القرآن والسنة.

فلتتّحد كلّ خطى العاملين على مكافحة البدع في أمتنا الإسلاميّة على هدي من القرآن والسنة وفهم حضاري عميق للإسلام، وليكن أسلوبهم الحكمة والموعظة الحسنة ﴿وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾.

# أنسنة التاريخ

محمد مهدي شمس الدين[1]

**• لابدّ أن يساهم التاريخ في تكوين الشخصية الانسانية السويّة المتكاملة • ما يصون أمتنا من الزيغ والانحراف هو أن تعي تاريخها بعد تطهيره • يجب أن يُكتب التاريخ النضالي لأمتنا • ثورة الحسين أغنى ثورة بالعزم والتصميم والمضي حتى تحقيق النصر النهائي**

ما نريده ونلحّ على أنه ضروري لنا في مرحلتنا الثورية الراهنة هو أنسنة التاريخ، هو جعله ذا صلة بحياة الإنسان ومطامحه، هو إعداده ليندمج مع الكائن الإنساني في تركيب عضوي متفاعل متكامل، وليس مجرد انعكاس خاو لحياة إنسانية سابقة.

لقد دأب مدوّنو التاريخ العرب على الاهتمام بالتاريخ الشخصي للملوك والقادة، فسجلوا بإسهاب عظيم حروبهم وانتصاراتهم، ومجالس مجونهم ولهوهم، ولم يولوا الجانب الاجتماعي من الحياة الإسلامية ـ وهو ما يتصل بحياة الأمة ـ اهتمامًا وإن كان ضئيلاً.

ومن هنا أضحى التاريخ عندنا ـ بالنسبة إلى الجماهير ـ مجرد انعكاس لحيوات سابقة لا يسهم في تكوين الشخصية الإنسانية،

---

١ - رئيس المجلس الشيعي الاعلى السابق في لبنان.

إنه قد يُسهم في إثارة الحماس الخلاق تارة، والغرور المدمّر أخرى، ولكنه لا يُسهم أبدًا في تكوين شخصية إنسانية سوية متكاملة، ترتكز على أصول إنسانية عريقة، فلا تفقد محور الارتكاز حين تتعرض لامتحان قاس لا يجتازه إلا الإنسان... الإنسان.

و إن حقبتنا الحياتية الراهنة تحتم علينا أن نتناول التاريخ تناولا إنسانيًا، تناولا يتيح له أن يكون عاملا مطورًا فيما يتعلق بموفقنا من الحياة والكون.

إن أمتنا الإسلامية تجتاز في هذه الحقبة أدق وأخطر مرحلة من مراحل كفاحها الطويل عبر العصور.

لقد حققت انتصارات باهرة يجب أن تحافظ عليها. وتعمل في الوقت نفسه لتحقيق انتصارات جديدة. وهنا تكمن الخطورة في هذه المرحلة. إنها الآن حين تقنع بالانتصارات التي حققتها وتقعد عن محاولة تحقيق غيرها تتعرض لخطر فَقدِ هذه الانتصارات نفسها. ولذلك فيجب أن تحمي هذه الأمة نفسها، من تطرّق الوهن والاستسلام إليها. يجب ألا ترضى عن نفسها.

هذه واحدة.

وأخرى وهي أنها إذا صممت على السير، ولم تهن، ولم تنكل، يخشى عليها أن تزيغ وتنحرف في تطورها إذا لم يكن عندها... في أعماقها محور ترتكز عليه وترجع إليه، محور نابع من شخصيتها التاريخية، وذاتيتها العقائدية.

وما يؤمنها من أنفسها، وما يؤمنها من الزيغ والانحراف في تطورها هو أن تعي تاريخها بعد تطهيره. وتاريخها هي (تاريخ الأمم) ليس تاريخ حروب حكامها وانتصاراتهم ومجالس لهوهم، و إنما هو تاريخ ثوراتها على هؤلاء الحكام. إن ثورات الأمم هي التي تمثل روحها، ونضالها، و إيمانها. أما الحكام الذين ثارت عليهم فليسوا منها، لو كانوا منها لما ثارت عليهم، لو كانوا منها لأحسوا بعذابها، ولما خلقوا بتصرفاتهم مبررات ثورتها.

إن تاريخ الثورات هو تاريخ الشعوب.

ولكي تبقى هذه الشعوب في يقظة دائمة لئلا تخدع عن انتصاراتها ولكي تبقى في وعي دائم لعملها التطويري الذي تمارسه يجب أن تكون في ثورة دائمة على أعدائها في الخارج والداخل لتحتفظ بانتصاراتها، وثورة دائمة على نفسها، تتناول نفسها بالنقد، وتفحص موقفها دائماً، لئلا تنحرف وتزيغ. ولكي تبقى في ثورة دائمة تصحح بها أوضاعها من الداخل والخارج يجب أن تلقن تاريخ نفسها، تاريخ ثوراتها.

ففي هذا التاريخ تجد الأساس التاريخي لشخصيتها العقائدية والنضالية، فتعصمها شخصيتها العقائدية من الزيغ والانحراف، وتعصمها شخصيتها النضالية من الوهن والنكول.

ولقد أهمل المؤرخون الأقدمون تاريخ الثورات أو زيفوه، لأنهم ـ بوحي من أنفسهم أو حكامهم ـ كانوا يعتبرون هذه الثورات

حركات تمرد وعصيان ضد السلطة الشرعية.

أما الآن، فيجب أن يصحح الوضع. يجب أن يكتب التاريخ النضالي لأمتنا كتابة صحيحة. يجب أن يكشف عن العذاب، والاضطهاد، والجوع الذي كان يدفع بالناس إلى الثورة، إلى الموت احتجاجًا على واقعهم. يجب أن يكشف عن الشخصية التاريخية لهذه الأمة، ومحور ارتكازها العقائدي والنضالي عبر التاريخ. يجب أن يكشف عن مناقبية الثائرين التي كانت تعصمهم دائمًا من أن ينقلبوا إلى لصوص، أو سفاحي دماء، لا هدف لهم، ولا يشعرون بمسؤوليتهم.

وتاريخ أمتنا النضالي تاريخ مضيء، فالثورات التي قامت بها أمتنا عبر العصور كانت دائمًا تعبر تعبيرًا تلقائيًا حرًا عن هذه الأمة، وعن إنسانيتها، وعن رغبتها الحارة في أن تعيش متمتعة بكافة حقوقها الإنسانية.

وتأتي ثورة الحسين(ع) في كربلاء على رأس هذا التاريخ.

فهي رأس الحربة في التاريخ الثوري. هي الثورة الأولى التي عبأت الناس ودفعت بهم في الطريق الدامي الطويل، طريق النضال، بعد أن كادوا أن يفقدوا روحهم النضالية، بفعل سياسة الأمويين.

وهي أغنى ثورة بالعزم والتصميم على المضي في النضال الدامي إلى نهايته أو النصر، فقد عُرضت على الثائرين أمتع حياة، ولكنهم أبوا هذه الحياة التي سيسكتون معها عن الظلم والعسف و إرهاب الأمة.

وهي ثورة امتُحن أبطالها بأقسى ما امتُحن به الثائرون على مدى التاريخ. فلم يهنوا، ولم ينكلوا بل ثبتوا ـ رغم كل شيء ـ ثائرين إلى اللحظة التي توّجوا فيها عملهم العظيم بسقوطهم صرعى في سبيل مبدئهم الحق.

وهي أنبل ثورة قام بها جماعة من الناس، فإن الثائرين لم يستهدفوا من ثورتهم مغنمًا شخصيًا لأنفسهم، و إنما استهدفوا من ثورتهم تحرير مجتمعهم من الطغاة الذين كانوا يسومونه العذاب ويجرّعونه الصاب.

ومن هنا تأتي أهميتها التاريخية والتطويرية.

من أنها النموذج المحتذى، النموذج الذي جاء كاملا، والذي يجب أن يُستوحى.

وحيث كانت بهذه المثابة وجب أن تنال عناية خاصة من القيّمين على شأن الكلمة عندنا، فعلى هؤلاء ـ وهم القوة المطورة والقائدة في الأمة ـ أن يهتموا اهتمامًا جديًا بهذه الثورة، بشرح الدور الذي أسهمت به في تغذية روح النضال و إلهابها، وبالكشف عن أخلاقيتها التي بشّرت بها. وبإحلالها في محلها اللائق بها من تاريخنا الثوري.

وان أدوات الأداء الحديثة لتتيح إمكانات لا حدّ لها لاستخدام تاريخنا الثوري في تطوير مجتمعنا، وفي إبراز شخصيته التاريخية لعينيه، ليعمل على تركيز نضاله الحديث على الأسس التاريخية والعقائدية لحركته النضالية الكبرى عبر العصور.

## يا جبالَ المجدِ عزًّا

**الشريف الرضي**

**• هذه القصيدة لوعة.. وصرخة. لوعة تجعل الانسان يتعاطف مع كلّ المظلومين وأنصارالحق والصامدين بوجه الباطل والمضحين في سبيل المثل العليا، وصرخة بوجه الظالمين في كل زمان ومكان وبراءة من أعمالهم ورفض لحاكميتهم. الشريف الكبيريستعرض في القصيدة مأساة كربلاء، ويبين خلفيات هذه المعركة (أدرك الكفربهم ثاراته) وخسّة المقاتلين في جبهة الباطل (قتلوه بعد علم منهم..) وعظمة الصامدين في جبهة الحق (يا جبالَ المجدِ عزّا وعُلًى) ويصوّرالحادث المفجع بأنه مصيبة إسلامية نزلت برسول الله وفاطمة وعلي (ميت تبكي لَه فاطمة..).**

كَرْبَلا، لا زلتِ كربًا وبلا ... ما لَقي عندَكِ آلُ المصطفى
كَمْ على تُربك لمّا صُرّعوا ... من دَم سالَ وَمِنْ دَمع جرَى
كَمْ حصان الذّيل يروي دمعُها ... خدَّها عند قتيل بالظّما
تمسحُ الترب على إعجالها ... عن طُلى نحررميل بالدّما
وضيوف لفلاة قفرة ... نزلوا فيها على غيرقِرى
لم يذوقوا الماء حتى اجتمعوا، ... بحدى السيف على ورد الردى
تكسف الشمس شموسًا منهم ... لا تدانيها ضياء وعُلَى
وتنوش الوحش من أجسادهم ... أرجلَ السبق وأَيمان النّدى

ووجوهًـا كالمصـابيح، فمـنْ قمـرغـابَ، ونجـم قـد هـوى
غيّـــرتهنّ الليـــالي، وغـــدًا جـايَرالحكـمِ علـيهنّ البِلـى
يـا رســول الله لــوْ عــاينتهم وهــمُ مـا بـين قتلـى وسـبَا
مـن رمـيض يمنـع الظـل ، ومـن عـاطش يُسـقى أنابيـب القنـا
ومســوقٍ عــاثريُســعى بــه خلـفَ محمـول علـى غيـروطَا
متعـبٍ يشـكوأذى السـيرعلـى نقـب المنسِـمِ، مجـزولِ المطـا
لــرأتْ عينــاكَ مــنهم منظــرًا للحشَـى شـجوًا، وللعَـين قـذَى
لــيسَ هــذا لرَســول الله، يــا أمــة الطّغيــان والبغــي، جــزَا
غـارس لـم يَـألُ فـي الغـرس لهـم فــأذاقوا أهلــه مــرّالجَنــى
جَـزّروا جـزرالأضـاحي نسـلهُ، ثـمّ سـاقوا أهلـه سـوق الإمـا
معجــلات لا يــوارين ضــحًى، سـنن الأوجـه أو بـيضَ الطُّلـى
هاتفــات برســول الله فــي بُهَـرِالسّـعي، وعثـرات الخطـى
يــوم لا كســرَحجــاب مــانع بذلــة العــين ولا ظــلّ خبــا
أدرك الكفــربهــم ثاراتــه، وأزيـل الغـيّ مـنهم فاشـتفى
يــا قتــيلا قــوّض الــدّهرُبــه عُمَـدَ الـدّين وأعـلام الهُـدى
قتلــوهُ بعــد علــم مــنهمُ أنّـهُ خـامس أصـحاب الكسـا
وصــريعًا عــالج المــوت بــلا شــد لحيــين ولا مــدّ ردا
غســلوه بــدم الطّعــن، ومــا كفّنــوه غيــربوغــاء الثّــرى
مرهقًـا يـدعو، ولا غـوث لـه، بــأب بَــرّوجــدّ مصــطفى
وبــأمٍّ رفــع الله لهــا علمًـا مـا بـين نسـوان الـورى
أي جَــدٍّ وأبٍ يــدعوهما، جـدّ، يـا جـدّ، أغثنـي يـا أبـا

يـا رسـول الله يـا فاطمـة، ... يـا أميـر المـؤمنين المرتضـى
كيـف لـم يسـتعجل الله لهـم ... بـانقلاب الأرض أو رجـم السـما
لـو بسـبطي قيصـر، أو هِرقـل ... فعلـوا فعـل يزيـد، مـا عـدا
كـم رقـاب مـن بنـي فاطمـة ... عُرِقـت مـا بيـنهم، عَـرْق المـدى
واختلاهـا السـيّف حتّـى خلتهـا ... سَـلَمَ الأبـرقِ، أو طَلـحَ العُـرى
حملـوا رأسًـا يصـلّون علـى ... جـدّه الأكـرم طوعًـا و إبـا
يتهـادى بيـنهم لـم يَنقُضُـوا ... عَمَـمَ الهـامِ، ولا حلّـوا الحُبـى
ميّـت تبكـي لـه فاطمـةٌ ... وأبوهـا، وعلـيّ ذو العُلَـى
لـو رسـول الله يحيـا بعـدهُ ... قعـدَ اليـومَ عليـه للعـزا
معشـرٌ مـنهم رسـول الله والـ ... ـكاشفُ الكربِ، إذا الكربُ عرا
صِـهرهُ البـاذلُ عنـه نفسـهُ، ... وحسـامُ الله فـي يـوم الـوغَى
أوّلُ النـاس إلـى الـدّاعي الّـذي ... لـم يقـدِّم غيـره لمـا دعـا
ثـمّ سـبطاهُ الشـهيدان، فـذا ... بحَسـا السـمِّ، وهـذا بـالظُّبي
وعلـيّ، وابنـهُ البـاقر، والصّـ ... ـادقُ القـول، وموسـى، والرّضـا
وعلـيّ، وأبـوهُ وابنـهُ ... والـذي ينتظِـرُالقـومُ غـدا
يـا جبـالَ المجـد عـزّاً وعلًـى ... وبُـدورالأرض نـورًا وسـنا
جعـل الله الّـذي نـابكم ... سـببَ الوجـد طـويلا والبكـا
لاأرى حـزنكم يُنسـى، ولا ... رُزءكم يُسلى، و إن طال المدَى
قدمضى الدّهر، وعفّى بعدكم ... لاالجـوى بـاخَ، ولاالـدّمعُ رقـا
أنـتم الشّـافون مـن داء العمـى، ... وغـدًا سـاقون مـن حـوض الـرّوا
نـزلَ الـدّينُ علـيكم بيـتَكم ... وتخطّـى النّـاس طُـرًا، وطَـوى

أين عنكم للّذي يبغي بكُمْ ... ظلَّ عدن دونَها حرّ لظى
أين عنكم لمُضِلٍ طالب ... وَضَحَ السُّبلِ وأقمارَ الدّجَى
أين عنكم للّذي يرجو بكمْ ... مَعْ رسول الله فوزًا ونجا
يوم يغدو وجهُهُ عن معشر ... معرضًا ممتنعًا عند اللّقا
شاكيًا منهم إلى الله، وهلْ ... يُفلح الجيلُ الذي منه شكا
ربّ ما حاموا، ولا آووا، ولا ... نصروا أهلي، ولا أغنوا غَنا
بدّلوا ديني، ونالُوا أُسرتي ... بالعظيمات، ولم يَرْعَوا أَلَى
لو وَلِي ما قد وَلَوا من عِترتي ... قائمُ الشركِ لأبقى وَرَعى
نقضوا عهدي، وقد أبرمتُهُ ... وعُرى الدين ، فما أبقوا عُرى
حُرَمي مُسْتردَفاتٌ، وبنو ... بنتيَ الأدنَون ذِبحٌ للعِدى
أترى لستُ لديهم كامرئٍ ... خلّفوه بجميلٍ إذ مضى
ربّ! إنّي اليوم خصمٌ لهم ... جئتُ مظلومًا وذا يومُ القَضَا

**توضيح بعض المفردات:**

(الرميض) المتحرّق القدمين من الحرّ. (نقب المنسم) رقّة الخفّ استعارة للمتعب. (المجزول) المقطوع. (المطا) الظهر. (سنن الوجه) دوائره. (البهر) انقطاع النفس من العياء. (بذلة العين) انكشاف النساء للعين. (شدّ لحيين) الغسل والتكفين. (البوغاء) التربة الرخوة. (عرقت) أزيل لحمها. (سَلَم الابرق، طلح العُرى) أسماء أشجار برية ترعاها الابل. (لم ينقضوا) لم يحلّوا. (الحُبى) الاشتمال بالثوب. أي إنهم لم يكبروا المصاب. (باخ) سكن. (رقأ) انقطع جريانه (الأَلى) النعمة.

# النماذج التربوية

# في نهضة عاشوراء

شهاب الدين الحسيني *

**• الحسين ومن معه كانوا على اتصال دائم بالله سبحانه • الحسين جسّد في خطبه مفهوم أنّ المبادئ فوق الرجال •الانتصار الحقيقي هو انتصار المبادئ• القتال ليس سوى وسيلة للهداية والإصلاح • مقاومة الطغاة مقدمة على بعض العبادات • في نهضة عاشوراء درس يقضي بالتخطيط لمواجهة العدوّ.**

## الأوّل: الارتباط بالله تعالى في كلّ المراحل والظروف

حين تشتدّ المصائب وتتخاذل قوى الإسناد، وينظر الإنسان حواليه، فيجد نفسه مجرّدًا من وسائل النصرة وأسباب الخلاص، فلا جهة تحميه ولا قوّة تنجده، ومعه قوّة قليلة وفي مقابلها كثرة عديدة، جاء من أجل إنقاذها، و إذا بها تقاومه وتطارده، فلا يبقى له من ركن وحصن و إسناد إلاّ الله تعالى الذي يملك الغوث والنجدة، فيلتجئ إليه في مثل هذه الأوضاع ليمنحه الأمن والقوّة والثبات، هذا هو أهمّ الدروس التربوية التي سطّرتها النهضة الحسينية، فالحسين(ع) ومن معه لم ينقطع اتصالهم بالله تعالى في جميع

* - باحث إيراني.

الأحوال والظروف، واستسلموا له تمام الاستسلام.

ففي وصيّته (ع) يشرح أهداف ثورته ثمّ يقول: «ومن يردّ عليّ هذا أصبر حتّى يقضي الله بيني وبين القوم.. وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكلت و إليه أنيب».

وحينما اقترح عليه ابن عباس بالتوجّه إلى غير العراق قال له: «فإنّي أستخير الله وأنظر ما يكون».

وحينما أراد الجيش الأموي الهجوم عليه قبل يوم عاشوراء قال لأخيه العبّاس: «ارجع إليهم فإن استطعت أن تؤخّرهم إلى غدوة لعلّنا نصلّي لربّنا هذه الليلة وندعوه ونستغفره».

وفي وسط الميدان وقد أثخنته الجراح كان يردّد: «بسم الله وعلى ملّة رسول الله... هوّنَ عليَّ ما نزل بي أنّه بعين الله».

وفي أشدّ ظروف المعركة كان يدعو: «اللهم أنت ثقتي في كلّ كرب ورجائي في كلّ شدّة، وأنت لي في كلّ أمر نزل بي ثقة وعدّة، كم من همّ يضعف فيه الفؤاد وتقلّ فيه الحيلة ويخذل فيه الصديق ويشمت به العدوّ أنزلته بك وشكوته إليك رغبة مني إليك عمّن سواك ففرّجته وكشفته وكفيتنيه فأنت وليّ كلّ نعمة...».

### الثاني: تقديم المبادئ على الرجال

أراد الحسين أن يبيّن للأمّة أن المبادئ الإسلامية فوق الرجال والشخصيات، وأنّ القائد والإمام ليس له من الأمر شيء. فلابدّ للأمّة

أن ترتبط بالمبادئ أولاً، ثمّ ترتبط بمن يكون سلوكه مصداقًا لتلك المبادئ؛ فالمبادئ ثابتة والرجال يقتربون ويبتعدون منها، فقدّم الحسين المبادئ على نفسه و إن كان إمامًا وابن بنت رسول الله(ع) وجعل الحقّ فوق نفسه فقال: «فمن قَبلني بقبول الحقّ فالله أولى بالحق».

والعبّاس يقدّم المبادئ على القيادة فيقول:

والله إن قطعـــــتمُ يمينـــــي إنّـي أحـامي أبـدًا عـن ديني
وعـن إمـــام صـــادق اليقيـــن نجـل النبيّ الطاهـــرالأمين

وحينما تتقدّم المبادئ على الرجال وتكون مقياسًا للانتماء والارتباط، لا يستطيع الرجال أو القادة أن يحرفوا الأمّة عن تلك المبادئ أو يوجّهوها حسب أهوائهم، كما حدث في التاريخ.

**الثالث: تشخيص مصداق الإمامة**

شخّص الحسين(ع) مصداق الإمامة ومن يكون له حقّ التصدّي لإمامة الأمة؛ فهو الشخص المحكوم بالإسلام ومبادئه، وليس كلّ من يصل إلى دفّة الحكم و إن لم يكن أهلاًلها. فيقول(ع): «..فلعمري ما الإمام إلاّ العامل بالكتاب القائم بالقسط الدائن بدين الحق».

فيزيد، وكل من سارعلى نهجه ممّن لم يكن سلوكه وسيرته مطابقًا للمبادئ الإسلامية، ليس له حقّ الطاعة، ولا يجوزالانقياد له إلاّ

في الحدود التي فيها مصلحة إسلامية كبرى. من أجل أن لا تتوزّع الولاءات على شخصيات عديدة.

**الرابع: الانتصار الحقيقي هو انتصار القيم الإسلامية**

إنّ الانتصار الحقيقي هو انتصار القيم الإسلامية وتقريرها في واقع الحياة لتكون الأفكار والعواطف والسلوك الاجتماعي والسياسي منسجمة مع المنهاج الإسلامي وقيمه، ولا قيمة ولا وزن للانتصار العسكري والسياسي إذا لم يكن قائمًا على أساس ذلك المنهاج وتلك القيم، فقد يكون النصر العسكري أحيانًا وبالاً على الأمة، لأنّه لا يمتّ إلى مبادئ الإسلام وقيمه بصلة؛ وقد أوضحت نهضة عاشوراء هذه الحقيقة في كلام الحسين مع بني هاشم «أمّا بعد فإنه من لحق بي منكم استشهد معي، ومن تخلّف لم يبلغ الفتح».

والإمام علي بن الحسين(ع) وهو قائد المرحلة الثانية من النهضة الحسينية يجيب على هذه الحقيقة، حينما سأله إبراهيم بن طلحة. قال: من الغالب؟ قال(ع): «إذا دخل وقت الصلاة فأذّن وأقم تعرف الغالب».

فالانتصار الحقيقي كما يوضّحه الإمام هو انتصار مبادئ الإسلام وقيمه وعدم قدرة الطغاة على طمسها.

**الخامس: رفض الذلّ وعدم الخضوع للطغاة**

درس تربوي من النهضة الحسينية هو الدعوة إلى تحقيق الحياة

الكريمة و إن كانت باهضة الثمن، بتقديم النفس إلى القتل والإبادة، وأنّ الخضوع للطغاة يعني استمرارهم في طمس معالم المنهاج الإسلامي في الحياة و إنهاء القيم الإسلامية، وطغيان الطغاة لا يتمّ إلا حينما يجد الطاغية خضوعًا واستسلامًا؛ والحسين أعطانا أبلغ الدروس في إيقاف حركة الطغاة وتحجيمها برفض الخضوع لهم والاستسلام لمخططاتهم.

ففي جواب الحسين(ع) لابن الأشعث حينما أراد منه بيعة يزيد قال: «لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أقرّإقرارالعبيد».

وقال: «ألا و إن الدعيّ ابن الدعيّ قد ركزبين اثنتين بين السلّة والذلّة وهيهات منّا الذلّة».

وقال: «... فإنّي لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلاّ بَرَما».

وفي ساحة المعركة يقول علي الأكبر: «والله لا يحكم فينا ابن الدّعي».

والعبّاس و إخوته رفضوا الأمان الذي تقدّم به «الشمر» وآثروا الموت بعزّة على الحياة بذل.

ويخاطب الإمام عليّ بن الحسين ابن زياد حينما هدّده بالقتل:

«أبالقتل تهدّدني يا ابن زياد!! أما علمت أن القتل لنا عادة وكرامتنا الشهادة».

**السادس: عدم قطع الولاية بين المسلمين**

الولاية بين المسلمين ثابتة، فبعضهم أولياء بعض؛ وكان الحسين – ومن سار على نهجه – قبل عاشوراء لم يقطع الولاية بينه وبين غيره من المسلمين. اشترك في الفتوحات التي كانت في عهد عثمان ومعاوية، وكذلك أتباعه، فإن أغلبهم شارك في الفتوحات، ولكن في يوم عاشوراء انقطعت الولاية بينه وبين الجيش الأموي حينما أقدم على قتل الحسين، فالولاية ثابتة لا تنقطع إلا بالارتداد أو القتال.

وقد أكدّ زهير بن القين هذا المفهوم في خطابه لأهل الكوفة والجيش الأموي حينما قال: «حقّا على المسلم نصيحة أخيه المسلم، ونحن حتّى الآن إخوة على دين واحد ما لم يقع بيننا وبينكم السيف وأنتم للنصيحة منّا أهل، فإذا وقع السيف انقطعت العصمة وكنّا أمّة وأنتم أمة».

فلم تنقطع الولاية إلاّ بعد القتال، وقبله كانت الولاية ثابتة، حتى إنّ بعض أبناء أصحاب الحسين كانوا في الجيش الذي يقاتل في الثغور؛ وأهم درس تربوي هو بقاء الولاية بين أتباع أهل البيت وأتباع خصومهم في حدود النصرة والدفاع عن الإسلام وعدم الاعتداء.

**السابع: إلقاء الحجّة قبل القتال**

الإسلام دين الهداية والإصلاح، ولم يكن القتال إلاّ وسيلة للهداية والإصلاح حينما تستنفد جميع الوسائل السليمة، فيجب على المسلمين

أن يبذلوا النصيحة لأعدائهم أو خصومهم قبل بدء القتال، كما فعله الحسين وأصحابه، فقد ألقوا الحجّة على أفراد الجبهة المقابلة طمعًا في هدايتهم، وقد برزذلك من خلال الخطابات التي وجّهوها للجيش الأموي الفاقد لإرادته والمسيّرمن قبل الطغاة.

**الثامن: مسؤولية الجميع في الدفاع عن الإسلام**

حينما حفّت المخاطربالإسلام، اندفع الحسين للتضحية، فقدّم كلّ عزيزوغال من أجل الإسلام، وضمّ في نهضته جميع الأصناف، الرجل والمرأة، والصغيروالكبير، والعبد والحرّ، والتركي والرومي والحبشي، فلا عذرلأحد لو داهم الإسلام خطر كخطريزيد بن معاوية الذي كان هدفه طمس معالم الإسلام كما تخاطبه زينب(ع) قائلة:« فكد كيدك، واسع سعيك، وناصب جهدك، فوالله لا تمحو ذكرنا، ولا تميت وحينا».

و إماتة الوحي تبدأ بتغييرالمفاهيم الإسلامية وحرف الأمّة عن المنهاج الإسلامي و إن بقيت المظاهرإسلامية.

**التاسع: مقاومة الطغاة أهم من بعض العبادات**

الإسلام عبادته سياسة وسياسته عبادة، ولا فصل بينهما، ولذا نجد الحسين(ع) لم يتمّ مناسك الحجّ لأنّ هنالك ماهوأوجب من الحج، وهو كشف زيف الطغاة ومحاولة إنقاذ الأمّة منهم ومن مخططاتهم الرامية إلى إبعاد الأمة عن مسارها الذي رسمه لها الإسلام، فلا ينفع

الحجّ ولا يحقّق أهدافه إن كان الحاكم منحرفًا عن الإسلام، و إنّ الحج إن لم يكن مؤثّراً في إيقاف الطغيان لا يكون ذا أهمّية، ويفقد محتواه الحقيقي، فترك الإمام(ع) الوقوف بعرفة في وقت اجتمع فيه المسلمون هناك.

**العاشر: التخطيط للمعركة**

الإمام الحسين(ع) وان كان متيقّنًا بالقتل ولكنّه لم يترك الأسباب الطبيعية للمقاومة والتهيؤ للقتال ومنها التخطيط، فقسم جيشه الصغيرإلى ميمنة وميسرة وقلب، وحفرخندقًا حول الخيام لئلا يباغته العدو بعد أن أضرم فيها النيران، فالنهضة الحسينية تعطينا درسًا تربويًا ضروريًا في التخطيط لمجابهة أعداء الإسلام.

**الحادي عشر: طاعة القيادة**

القيادة الإسلامية واجبة الطاعة في كلّ شيء مادامت مرتبطة بالإسلام وسائرة على هديه، فالقائد الربّاني دائمًا يكون أكثروعيًا و إدراكًا من غيره؛ والواجب العودة إليه في كلّ عمل وموقف يراد إنجازه؛ وهذا ما نلاحظه في عاشوراء، فالجميع استسلموا للقيادة في حركتهم ومسيرتهم وقتالهم وتوقفهم؛ فعلى المسلمين الاستفادة من هذا الدرس التربوي في طاعة ولي الأمرالإمام الخامنئي الذي هو امتداد للحسين وللإمام الخميني(قدس)، إذ لولا الرعاية الإلهية وطاعة الأمة لم يستطع أن ينتصرعلى أميركا وعميلها الشاه.

## سمفونية الجنوب

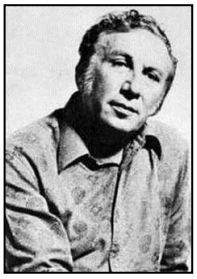

نزار قباني

(١)

سميتك الجنوب
يا لابسًا عباءة الحسين
وشمسَ كربلاء
يا شجرَ الورد الذي يَحترفُ الفداء
يا ثورةَ الأرض التقت بثورةِ السماء
يا جسدًا يطلع من ترابه
قمحٌ وأنبياء
اسمح لنا ...
بأن نبوسَ السيفَ في يديك
اسمح لنا..
أن نعبدَ اللّهَ الذي يَطلّ مِنْ عينيك
يا أيها المغسول في دمائه كالوردة الجورية
أنت الذي أعطيتنا شهادة الميلاد

ووردة الحرية..

سميتُك الجنوب

يا قمرَالحزن الذي يطلع ليلا من عيون فاطمة..

يا سفنَ الصيد التي تحترفُ المقاومة..

يا سمك البحرِالذي يحترفُ المقاومة..

يا كتبَ الشعرِالتي تحترفُ المقاومة..

يا ضفدعَ النهرِالذي

يقرأ طولَ الليلِ سورةَ المقاومة..

يا ركوةَ القهوةِ فوقَ الفحم،

يا أيام عاشوراء،

يا شرابَ ماء الزَهرِفي صيدا،

ويا مآذن اللّهِ التي تدعو الى المقاومة

يا سهرات الزجل الشعبي،

يا لعلعةَ الرصاص في الأعراس،

يا زغردةَ النساء،

يا جرائد الحائط،

يا فصائل النمل التي

تهرّب السلاح للمقاومة...

(٢)

سميتك الجنوب

يا من يصلّي الفجرفي حقلٍ من الألغام
لا تنتظرمن عرب اليوم سوى الكلام...
لا تنتظرمنهم سوى رسائل الغرام
لا تلتفت الى الوراء يا سيدنا الإمام
فليس في الوراء غيرالجهل والظلام
وليس في الوراء غيرالطين والسخام
وليس في الوراء إلا مدن الطروح والأقزام
حيث الغنيّ يأكل الفقير
حيث الكبيرُيأكل الصغير
حيث النظام يأكل النظام..
سميتك الجنوب
سميتُك الشمعَ الذي يُضاء في الكنائس
سميتك الحنّاء في أصابع العرائس
سميتك الشعرالبطولي الذي
يحفظه الأطفال في المدارس
سميتك الأقلام، والدفاترالوردية
سميتك الكتابة السرية..
سميتك الرصاص في أزقة (النبطية)
سميتك النشوروالقيامة
سميتك الصيف الذي تحمله

في ريشها الحمامة
سميتك الجنوب
سميتك المياه. والسنابل
وشتلة التبغ التي تقاتل
ونجمة الغروب
سميتك الفجرالذي ينتظرالولادة
والجسد المشتاق للشهادة
يا آخرالمدافعين عن ثرى طروادة
سميتك الثورة، والدهشة والتغيير
سميتك النقي، والتقي، والعزيز، والقدير
سميتك الكبيرأيها الكبير
(٣)
سميتك الجنوب..
سميتك الجنوب
سميتك النوارس البيضاء، والزوارق
سميتك الأطفال يلعبون بالزنابق
سميتك الرجال يسهرون حول النارو‌البنادق
سميتك القصيدة الزرقاء
سميتك البرق الذي بناره تشتعل الأشياء
سميتك المسدس المخبوء في ضفائرالنساء

سميتك الموتى الذين بعد أن يُشيّعُوا
يأتون للعشاء
ويستريحون الى فراشهم
ويطمئنون على أطفالهم
وحين يأتي الفجر، يرجعون للسماء..
سميتك الجنوب
يا أيها الطالع مثل العشب من دفاترالأيام
يا أيها المسافرالقديم فوق الشوك والآلام
يا أيها المضيء كالنجمة، والساطع كالحسام
لولاك ما زلنا على عبادة الأصنام
لولاك كنا نتعاطى عَلّنا
حشيشةَ الأحلام
اسمح لنا بأن نبوس السيف في يديك
اسمح لنا أن نجمع الغبارعن نعليك
لولم تجئ يا سيدي الإمام
كنا أمام القائد العبري
مذبوحين كالأغنام...
يا سيد الأمطاروالمواسم
يا ثووة شعبية تحمل في احشائها التوائم
سميتك الحب الذي يسكن في الخواتم
سميتك العطرالذي يسكن في البراعم

سميتك السنونو

سميتك الحمائم

(٤)

يا سيد الأسياد، يا ملحمة الملاحم.

البحر نصٌّ أزرق يكتبه علي

ومريم تجلس فوق الرمل كل ليلة

تنتظر المهدي

وتقطف الورد الذي يطلع من أصابع الضحايا

وزينب تخبئ السلاح في قميصها

وتجمع الشظايا

وتحمل السلاح للموتى الذين

يقطنون داخل المرايا..

فاطمة تجيء من صور، وفي ثيابها

رائحة النعناع والليمون

فاطمة تجيئني، وشعرها

يشبه هذا الزمن المجنون

فاطمة تأتي.. وفي عيونها

خيل، ورايات، وثائرون

هل الحروب يا ترى..

تعمق السواد في العيون؟؟

سيذكر التاريخ يومًا قرية صغيرة
بين قرى الجنوب،
تدعى (معركة).
قد دافعت بصدرها
عن شرف الأرض، وعن كرامة العروبة
وحولها قبائل جبانة
ومفككة...
من بحر صيدا يبدأ السؤال
من بحرها..
يخرج آل البيت كل ليلة
كأنهم أشجار برتقال
من بحر صور.
يطلع الخنجر، والوردة، والموال،
ويطلع الأبطال..

(٥)

سميتك الجنوب
سميتك الأجراس والأعياد
وضحكة الشمس على مزايل الأولاد
يا أيها القديس، والشاعر، والشهيد
يا طلقة الرصاص في جبين أهل الكهف

ويا نبي العنف..
ويا الذي أطلقنا من أسرنا
ويا الذي حررنا من خوف
يا أيها السيف الذي يلمع بين التبغ والقصب
يا أيها المُهْرالذي يصهل في برية الغضب
إياك أن تقرأ حرفًا من كتابات العرب
فحربهم إشاعة..
وسيفهم خشب..
وعشقهم خيانة
ووعدهم كذب
إياك أن تسمع حرفًا من خطابات العرب
فكلّها نحو.. وصرف، وأدب
وكلها أضغاث أحلام، ووصلات طرب
لا تَستغثْ بمازن، أو وائل، أو تغلب
فليس في معاجم الأقوام
قوم اسمهم عرب!.
يا سيدي: يا سيد الأحرار:
لم يبق إلا أنت.
في زمن السقوط والدمار
في زمن التراجع الثوري..

والتراجع القومي،
والتراجع الفكري،
واللصوص والتجار
في زمن الفرار..
الكلمات أصبحت، يا سيدي الجنوب،
للبيع والإيجار
والمفردات يشتغلن راقصات
(٦)
في بلاد النفط.. والدولار..
لم يبق إلا أنت
تسير فوق الشوك والزجاج
والإخوة الكرام..
نائمون فوق البيض، كالدجاج
وفي زمان الحرب، يهربون كالدجاج!
يا سيدي الجنوب:
في مدن الملح التي يسكنها الطاعون والغبار
في مدن الموت التي تخاف أن تزورها الأمطار
لم يبق إلا أنت،.
تزرع في حياتنا النخيل، والأعناب، والأقمار
لم يبق إلا أنت.. إلا أنت.. إلا أنت
فافتح لنا بوابة النهار..